

العدد العاشر من السنة السادسة ذو القعدة سنة ١٣٦٤ - أكتوبر سنة ١٩٤٥

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف

تليفون ٨٥٣١٢

الطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٥

الأغنياء والروح العامة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

سألني صديق ذات يوم : ماذا عسالك كنت تصنع : الك لو كنت ذا مال ؟
فكان أول ماخطر لي في جواب سؤاله : أن خات المال أولا ، وبعد ذلك فكر
فيما يمكن أن نصنع به .

وكف الصديق عن مسألتي ، لما رأني أنظر من وجع الدماغ بلا موجب ، ولكني أنا
ذهبت بعد ذلك أفكر في سؤاله جادا ، وأثر المدقة فأقول ، إنني فكرت في أمر أثنائنا وعم
كثير والحمد لله الذي لا يحمد على المكره سواه .

ولعلكم فهمتم أني غير راض عن كثرة الأغنياء في مصر ، ولا عن مبلغ غناهم أيضا ،
وهذا صحيح ، وليس معنى هذا أني أكره أن أرى الناس في رشد وخفض وسعة ، معاذ الله ،
كل ما في الأمر أن كثرة الغنى والأغنياء تنقلب في النهاية نعمة على الأمة إذا لم تكن مقرونة
باستخدام جانب من هذا الثراء في تعهد الفقراء ، ولهذا أراني مشفقا جدا من مغبة الخلة في مصر .
ذلك أن البون يبيد جدا بين الغنى منا والفقير ، وليس كل ما أعنيه ببعث البون بين الغريقتين
أن الأغنياء عندهم كل ماشتهوه ، وأن الوسائل كلها متيسرة لهم ، وأن التقدير محروم حتى من
العلم والصحة ، وإنما أعني أيضا أن الأغنياء عندنا لا يعرفون إلا ما هم فيه ، وأنهم قلما
يشعرون بما يهائيه الفقراء ، فإذا سمعوا بذلك أو حدثهم به تحدثت استغربوا لأنهم ألفوا
الخفض والدعة ، وإذا فهموا لم يزيدوا على الإعراب عن الأسف باللسان ، دون أن تحس
قلوبهم شيئا من الألم ، أو العطف الصادق ، ولم يشعروا بدافع إلى عمل شيء يخفف هذا
البلاء الذي يكابده الجمهور الأكبر من الشعب ، أما الفقير فعلى خلاف ذلك بل تقيضه —
يعرف ما هو فيه من الضنك والعجز وسوء الحال من كل وجه ، ويعرف أيضا ما فيه الأغنياء
من النعمة والترف ، ويقع حاله المنكود إلى حالهم المحسود فيندب سوء حظه ، ويسخط
على هذه القسمة التي لا يرى فيها عدلا ، وقد يحوقل ويستسلم لقضاء الحظ فيه ولا يخطر له أن
يتمرد ، ولكنه لا يكون في سريره وقرارة نفسه إلا متبرها على الأقل .

هذا هو الذي أعنيه على الخصوص بالفرق بين أغنيائنا وفقرائنا ، أما مجرد تفاوت
الرزق فشيء لم تخل منه الدنيا قط ، ولا يمكن أن تخلو منه ، حتى في الدول الاشتراكية أو الشيوعية
لأميل إلى المساواة التامة ولا معدى عن قدر من التفاوت في الأرزاق والحظوظ ، وليس
هذا بذى قيمة تستحق الذكر ، وإنما الذي له قيمة ولا بد أن يكون له أثر لا يمكن أن يكون
حميدا فهو في غفلة الأغنياء .

حدثت مرة رجلا أنعم الله عليه بالثراء وكنت أرجو أن أوفق إلى إفتائه بإقامة مستوصف للمفقرء أو مطعم شعبي أوفى شيء من هذا القبيل بدلا من التبرع بناد رياضي ، فكان آخر ما سمعت منه بعد أن حج صوتي ونشف ربيق أن المفقرء هذا حالهم أبدا وما زالوا يعيشون هكذا طول عمرهم هم وأبنائهم من قبلهم ، فقلت له إن كونهم فقراء منذ جاءوا الى هذه الدنيا لا ينبغي أنهم يرمون بالنفاق وهم ساخطون على رقة الحال ثم إنه لا ينبغي أن ننسى أنهم جديرون بالعطف والرحمة والمعونة ، ولكنني أخفقت في إفتائه .

وحدثت رجلا آخر من سرائنا ، فنفسف وقل ، إن العبرة ليست بالفقر ، بل بنقل وطأة الإحساس به ، ومادام أن فلاحينا لا يتحمل على كاهل صدرهم ما هم فيه من الضنك ، فهم راضون شاكرون .

فقلت له إن هذا كان خليقا أن يكون صحيحا لو كان الناس جميعا على غرارهم ، إذا لما أحوا شيئا من التفاوت ولما دفعهم هذا التفاوت إلى التأمل والمقارنة والمقابلة ، ولكنهم يرون الأغنياء ولا يخفى عليهم ما يتعمدون به من نضارة العيش وخصب الجنب ، فليس يسعهم إلا أن يقبسوا حالهم الزرى إلى هذه الرفاهية المشتهاة ، ثم أنهم كانوا خلقاء أن يرضوا عن حظهم السيئ ، أو يتقبلوه بالصبر ، لو رأوا من هؤلاء الأغنياء مواجاة لهم وعظما عليهم وبرا بهم ، وتعصيدها لهم ، إذا زادوا على الصبر فشكروا ، وحمدوا الله الذي جعل بينهم أغنياء فيهم خير وتقوى ، أما والحال ليس كذلك والأغنياء يزدرونهم ولا يعاون شيئا بما هم فيه من نكد العيش فاذا تنتظر ؟

ولما كانت الملاريا فاشية في بعض أقاليم الصعيد قلت لواحد من أهل تلك البلاد آناه الله سعة عظيمة في رزقه ، ألا تخرج لهم شيئا مما أعطاك الله ؟ فسألني أي شيء أعنى ؟ قلت الطعام والكسوة ، قال هذا شأن الحكومة ، فلست أستطيع أن أطعم وأكسو قري بأثرها ، قلت صحيح ولكن هذا لا يمنع أن تجود بما عندك والذليل الى القليل كثير ، فأبى ، فلم يسعني إلا أن أقول له إنه أحق لأن هؤلاء الذين يتعدهم المرض أو يقتلهم هم الذين يعملون في مزارعه ، فاذا يكون مصير هذه المزارع المغللة الفياضة بالخيرات إذا قلت الأيدي العاملة أو قلت من الضمف ؟ أو سئطت على كبده الغلظة التي أتت له أن يطعم حائما من رجاله وعماله أو يكسو عريانا ؟

الحقيقة إن أغنياءنا فيهم غفلة شديدة حتى عن مصالحهم هم ، ونظيرهم فقير غيبة التنصر لأنهم لا يعملون ما لهم إلا الى المظاهر التي يعتقدون أنها تزيد في جاههم . وغير منكور أن أغنياءنا يتبرعون ويحجودون ويخرجون عن كثير من حرماهم ، ولكن انظر كيف يتبرعون ولماذا يسهون ؟ يفعلون ذلك في الأغلب والأعم تقربا لذوي السلطان وأهل الرياسة أو الجاه

العريض ، ولأن الذى يدعو إلى الاكتاب أو يرمى المشروع ويتهدده ممن يرجى خيرهم أو يخشى شرهم ، أو ممن يتب النفى أن يبادئ الاتصال به فينخر بأن يدعوهم إلى ولائته أو يدعى إلى ولائتهم ، أو حتى أن يرى معهم فى حفل أو ناد ، أما أنهم يتبرعون أو يجودون من تلقاء أنفسهم أو بدافع من شعور النصف الذى ينتظرون عليه أو لإدراك المبلغ الحاجة إلى ما يتبرعون له ، فهذا هو الذى أنكرو ، ولكل قاعدة استثناء وما تخلو الدنيا من أهل الخير والمروءة ، ولكن هذا هو الأعم والأغلب .

حققت قدمائى مرة من طول السعى بحمل غنى على معاونة جماعة على عمل فيه خير لزميرتهم نجحت وقتلت ، ثم رأيت أن أسلط عليه وزيرا ، فما احتاج والله إلى أكثر من كلمة بالتليفون ، وزاد فضاغف المبلغ الذى كنت أقترحه أضمانا ثلاثة .

وأنا أدرك أن بعض الروح العامة كما تسمى أو هذا القعود عما يمكن أن نسميه " المروءات الاجتماعية " مرجعه إلى الأثر الذى خلفته عصور الظلم والاستبداد الطويالة التى عاشتها بلادنا فيما مضى أيام كانت الحكومة كل شئ ، والشعب لا شئ ، وأيام كان الناس يظلمون ويغبنون ويؤخذون بالشبهات ، ويبتز ما لهم ويغصب ما يملكون ولا رحمة ولا عدل ولا أمن من عسف ، فتعود الناس النفاق والمصانعة والأثرة على الخصوص ، وصارت القاعدة فى الحياة " نفسى نفسى وبعدى الطوفان " .

ولا يزال أمر هذه العصور المظلمة باقيا ظاهرا . أموسا محسوسا فى علاقات الناس بعضهم بعض ، وفى علاقاتهم بالحكومة والموظفين ، وعلاقات الموظفين بالشعب ، فالناس يسبون الظن بأنفسهم وبالموظفين ، ويتقون شرهم ولا يرجون خيرهم ولا يبالي بعضهم بعضا إلا بمقدار ما يرغبون أو يهابون ، والموظفون يعدون أنفسهم " حكاما " و يعدون الشعب " رعية " وينظرون إليه هذه النظرة المتعجرفة ويحرصون معه على " النفخة الكدابة " .

وقد عاد عهد الدستور منذ أكثر من عشرين عاما ، وسوى بين الناس وأطلقت الحريات فى حدود القانون ، ولكن عشرين عاما أو ثلاثين حتى لو حسنت السيرة لا تمحو آثار القرون الجديدة ، فما ظنك ونحن قد أسانا السيرة مع الأسف لا عن عمد ، فليست ممن يتهمون الضمائر أو يشكون فى صدق المرائر ولا ممن يعتقدون أن مصر يا يمكن أن يعتمد أن يتمد ويسى ، إلى أمته ، ولكنه الجهل أو قلة العقل أو ضعف الإدراك أو قصر النظر ، وإننا على الرغم مما أفادنا التعليم الحديث وما حصلناه من المعارف المختلفة لا تزال متأثرين بذلك الماضى وما فتئنا نمشى فى حاشية من ميراثهم الثقيل .

ولا خير في أي إصلاح مالم نعمل على محو أثر الماضي، والمحو يكون بالحرص على احترام إنسانية الإنسان وأن تقوم العلاقات بين الناس على الرحمة والعدل والتعاون وأن يدرك الناس في سلوك الحكومة أنها خادمتها لا حاكمتها، وفي سيرة الأغنياء أن غناهم ليس نعمة لهم وحدهم بل نعمة للشعب أيضا وبركة .

ولا بد أن يجيء اليوم الذي يتحقق فيه ذلك فيتخلص الناس من آثار الماضي ويحيون حياة إنسانية كريمة، وتعرف الحكومة واجبها الصحيح وتؤديه أداء حكيما معقولا، ويسرف الأغنياء حتى الأمة عليهم .

سيجيء هذا اليوم بلا أدنى شك، ولكنه لا يجيء إلا من أحد طريقين، طريق النضال الطويل المرفى سبيله وليس هذا من الخير في شيء، والطريق الآخر أعمق وأقصر وأرشد، وهو الذي يدفع إليه الإدراك الصحيح وبعد النظر والتفكير على التفتن إلى وجوب مسابقة تيار الزمن قبل أن يفاجئنا اندفاعه ويغلبنا موجه الطامى أو كما يقول ابن لرومي :

أمامك فانظر أي نهجيك تسلك طريقان شتى مستقيم وأعوج

وعسى أن تؤثر التويم والله الموفق ما

ابراهيم عبد القادر المازني

إن ميثا شمائنا هو الخلاف الموجود بين أحوالنا ووعباتنا . بين واجباتنا ونزعاتنا ، بين الإنسانية والوطنية .

” روسو “

التعليم وأثره في الفرد والجماعة

(أذيت في البرنامج الثقافي لوزارة الشؤون)

للاستاذ محمد عطية الابراشي

المتش العام بوزارة المعارف

التعليم أول الواجبات ، وتعميمه أول الضرويات ، بذلك نادى المصلحون في كل زمان ومكان ، وكان الأسلام في مقدمة الأديان التي رفعت من شأن العلم والتعليم ، فقد نزلت أول سورة من الكتاب الكريم حائزة على التمام والقراءة : " إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم " .

وقد عرفت الأمم قديما وحديثا ما للتعليم من خطر في الحياة ، فأنفقت على نشره بسخاء وكرم ، واليوم تتخض الحرب الحالية عما للنعم من قوة عظيمة في السلم والحرب ، فأينا سامة الأمم الظافرة وزعماءها يرفعون بهوتهم عاليا ، بضرورة الاستعادة من مناهل التعليم ، تأخذت من الآن تصل على مضاعفة اعتاداته ، وتحسين حال رجاله ، لذلك لم يكن عجيبا أن تحيا الشعوب بالتعليم ، وتستيقظ من سباتها ، وتنبه من غفلتها ، ولقد دافع " بستالوتزي " عن تعليم الشعب في سويسرة ذنفا حارا ، سطره له التاريخ في صفحات خالدة ، فكان له ذكر حسن في حياته وبعد مماته ، لا في سويسرة فحسب ، بل في العالم كله ، وسويسرة التي تنعم اليوم بحضارة زاخرة ، ومدنية راقية ، إنما هي أثر جليل من آثار ذلك المربي العظيم .

ولما هزم نابليون " بروسيا " في موقعة " جينا " وحطم قوتها لم يرفع تلك الأمة المهزومة من حضيض الذل والانكسار إلا مدارس الشعب وتعميم التعليم ، حتى لقد قال (بستارك) السياسي الألماني العظيم بعد الحرب السبعيلية : " قد غلبنا جارتنا بعلم المدرسة " .

أى وانه ، معلم المدرسة ، فهو حامل لواء الثقافة والتعليم ، ويعتقد اللورد ماكولاي - وهو أديب وقاض انجليزي من القرن التاسع عشر - أنه قبل تعميم التعليم " باسمكوتلندة " كان الشقاء كثيرا ، والجهل سائدا ، والاكسل عاما ، والأخلاق جاثقانون منتشرا ، وكان المجرمون يعبون بالأمن ، ويهددون حياة الناس في كل وقت ، فكان اسم " اسمكوتلندة " يعد معرة وعيبا ، وكان اذا ذكر كرهه الناس ، وقبلوه باحتقار واستهزاء ، ولكن بعد أن

نقد قانون التعليم العام ، وبدأ الأميون يتعلمون ، وأخذ الأطنال الذين باعوا سن التعليم يذهبون جميعا الى المدارس ، أخذ شأن "اسكوتلندة" يسمو ويرتفع ، وأخذ الاسكتلنديون يكبرون في أعين الأمم ، لرقبهم في الأخلاق والآداب والتفكير ، بفضل التعليم .

هذا ولا يزال الهواء في «اسكوتلندة» باردا كما كان ، ولا تزال الصخور الاسكوتلندية عارية جرداء . كما عرفها الناس من قبل ، ولا تزال مناظرها الطبيعية كما كانت في غابر الأزمان ، ولكن ماذا حدث يا ترى؟! الذي حدث أن الشعب قد تغير ، تغير بالتعليم حتى أضفى أعظم شعب في العالم في الذكاء والمثابرة ، وفي الجلد والحسونة والاقتصاد والصناعة ، والآن فقط اعترف العالم بفضلهم ، وعرفت فضائلهم ، فعلى أكتاف هذا الشعب المكافح الصبور بنيت أعظم امبراطورية في العالم ، عقد لها لواء النصر في حرين ، لم يعرف التاريخ مثلها ، وفي القرن التاسع عشر كان الحكام المستبدون في أوروبا وبخاصة روسيا — يخافون دائما تعليم سواد الشعب ، وكانوا يعتقدون أن العلم كالملح يكون مصلحا إذا أخذ منه مقدار ضئيل ، ويكون مقسدا إذا أخذ منه مقدار كبير ، كأن العلم مادة سامة في رأى هؤلاء المستبدين .

ومن كلماتهم الماثورة : « علم الفقراء اليوم وغدا سيكونون ضدك » .

أما اليوم فقد برهنت التجربة ، وأثبت التاريخ فساد هذا الودم ، وشعر العالم بأن التعليم هو خير وسيلة للنهوض بالعامية ورفع مستواهم ، فبالتعليم يعرفون كيف يسرون في الطريق المستقيم ، ويحكمون عنولم فيما لهم وما عليهم ، ويميزون بين الحسن والقبيح ، والغث والسمين ، أما الجاهل فكثير الخطأ ، بعيد عن الحادة ومهيج الدواب ، وهو عرضة لكل من يؤثر فيه ، لأنه لا علم له ، ومن لا علم له لا عقل له يسترشد به ، فهو كالرئح يميل حيث تميل ، وكالريشة في مهب الهواء ، وتم أضر الجهلاء بأنفسهم ، ووسموا بلادهم بمسم العار .

وفي سنة ١٩٢٠ رأت الحكومة الإنجليزية أنها مثقلة بفادح الديون بعد الحرب ، ففكرت في اقتصاد بضعة ملايين من الجنيهات ، فلم تجد سبيلا لتحقيق رغابتها إلا إتقاص ميزانية التربية والتعليم فتوبات بعاصنة شديدة من الاحتجاج والمعارضة من جميع المفكرين وأفراد الشعب ، وكان الجواب الحاسم "اقتصدوا في كل شيء ، ومن كل شيء ، إلا من مالية التعلم" .

ومن هذا يتبين مقدار ثقة الشعب الانجليزي بالتعليم وأثره ، وبلغ استعدادة لتقديم أية تضحية في سبيله .

وهنا يحق لنا أن نسال : ما النتيجة التي حصلت عليها تلك الأمة من تعميم التعليم ؟ وإن نظرة واحدة إلى عدد المجرمين قبل تعميم التعليم وبعده يتبين بوضوح أثر التربية والتعليم في نفسية هذا الشعب ، في أفراذه وجماعته ، ويهض دليلا على ذلك ما قاله (فكتور هوجو) :
 "من فتح مدرسة فقد أغاث سجيناً" تلك الكلمة التي يجب أن تكتب بحروف من نور على باب كل مدرسة ، وفي كل ميدان عام .

ولا غرابة في اختارة يلتقط الأذكاء كالزهرة ويضعون في المكان اللائق بهم وتفتح السبل في وجوههم ، كي تذبغ الأمة بذكائهم ، يتملمون التعليم الابتدائي بالبنان ، ولا بد أن يخصصوا على جائزة للجانية في المدارس الثانوية ، وبعد أن ينتهوا من التعليم الثانوي قد يحصلون على جائزة للتعليم بالجامعة ، وهذه الجوائز ميسرة لكل من أظهر ذكاء ، ولأضرب لكم مثلاً باللورد « بركنهد » الذي كان من أكبر الوزراء العاملين في وزارة المحافظين في سنة ١٩٢٩ ، فقد نشأ بين احتضان أسرة فقيرة ، وحدث أن مات أبوه وهو طفل ، فعنيت والدته بتربيته ، وتربية أخوته بقدر ما استطاعت . وقد عرفت ما فطر عليه ابنتها من ذكاء متوقد ، فعولت على أن اتصل به إلى حيث يظفر بجانية التعليم في جامعة (أكسفورد) ، وكان لها ما أرادت ، فقد نجح في امتحان الجامعة ، ونال الجائزة الأولى التي يتوقف عليها مصيره ومستقبله ، ولم يكن معه إذ ذاك من التثود ما يكفي رجوعه إلى بلده ، بدأ يتعلم في الجامعة مع أبناء الطبقة الخاصة من الأمة وظهرت عليه مخايل الذكاء ، وعلامات النبوغ والمقدرة الخطابية في ذلاقة لسانه ، وبراعة منطلقه وقوة حجته ، وفي حفل انتخابي سمعه الراحل " يوسف تشمبران " فأعجب به كل الإعجاب ، وسأله أن يقابله بعد الانتهاء من حياته الجامعية فقابله بعد سنتين ، وعندئذ عرض عليه للحاق بمحزب المحافظين ، ففعل ، وتابر حتى وصل بعلمه وعمله إلى الدرجة التي كان يتناها .

فلولم يعط (اللورد بركنهد) فرصة التعليم لتبر ذكأه حيا ، وما انتفعت بلاده بذكائه وعبقريته ، فالتعليم الحق هو الوسيلة الوحيدة لاغلاق السجون ، وهو الطريق الوحيد لرفق الفرد والجماعة ، بل هو سر عظمة الأمم ، ومظهر سيادتها وقوتها ، وقد خرج النبي صلوات الله عليه فيما يخرج له كل يوم ، فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس فقال : " أما هؤلاء فيسألون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وإنما بعثت معلطاً . . ثم ندل إليهم وجلس معهم ، وبذلك ضرب الرسول الكريم خير الأمثال في تشجيع التربية والتعليم ، والحث عليهما ، والاعتراف بفضل مهنة التعليم ، وقد علم الله نبيه دعاء يدعو به فقال "وقل رب زدني علماً" ، وكان الرسول صلوات الله عليه يقول " الناس رجلان

عالم ومتعلم ولا خير في سواهما". وقال، "من أراد الدنيا فليله بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم" كما قال "كونوا للعلم دعاة ولا تكونوا له رواة" وفي هذا حث من النبي على تدبر العلم وفهمه، ومعرفة وجه المنفعة فيه، وتطبيقها على المصلحة العامة والخاصة.

وقال عبد الملك بن مروان لبيه "يا بني تعلموا العلم، فإن كنتم سادة نتم، وإن كنتم وسطا سدتهم، وإن كنتم سوقة عشتهم"، وقال مصعب بن الزبير لابنه "تعلم العلم فإن لم يكن لك جمال كان لك جمالا، وإن لم يكن لك مال كان لك مالا، فالعلم زينة من لازينة له، ومال من لا مال له"، وقال (شكبير) "العلم ذو الجناح الذي نستطيع أن نظير به إلى السماء" زقد عرّح أحد الكتاب الفرنسيين بقوله: "إن العالم مائر بخناج نحو التفكير في الإنسانية، ومن الخال أن ترقى أمة من الأمم إلا بتعميم التعليم، فالمدنية والحضارة والتمدن في العلم، والإبداع في الاختراع من كل ما نراه بأعيننا في الأمم الراقية نتيجة التربية العامة، والتعليم المنتشرين جميع الطبقات".

وقال (جورج واشنطن) محرر أمريكا: "العلم هو السبيل الوحيد، والأساس المتين لسعادة الجمهور"، وأند قدشت هذه العبارة الثمينة التي ناه بها (واشنطن) في خطبة الوداع على قلب كل أمريكي وهي: "إن أول أمر شام هو أن ننهضوا بالمدارس لنشر التعليم العام"، وقد كتب (توماس جيفرسون) الرئيس الثالث للولايات المتحدة بأمريكا "إن العلم الذي سيعم كل طبقة من أبناء شعبنا من أذاهم إلى أنفقهم سيكون أول شيء يتعلق بالجمهور الذي أحبه، وأفكر فيه، إن الشعب الذي ينتظر أن يكون حرا جاهلا في نعمت واحد شعب ينتظر ما لم يحدث ولن يحدث، حثيثا، تكون الصحافة حرة، ويمكن كل إنسان قادرا على القراءة والكتابة تكن الديمقراطية أمة".

فالتربية يستطيع الإنسان أن يعرف ما يجب عليه نحو نفسه وغيره، وبها ترقى الأفراد، ويرقى الأفراد يرق المجتمع، وترقى الأمة.

ولقد قامى (هنري مان، ومارى ليون، وفرانسيس باركر) من المرين الأمريكيين كثيرا في سبيل تعميم التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية، ومدارس العامة بها اليوم هي المناهل العذبة التي يرتشف منها كل طفل ما هو في حاجة إليه من العلم، وفيها يتعلم الأطفال ميعا الحب والإخلاص لبلائهم، وبين جدرانها تتصد الميول والتبرعات وتسمو النفوس والأضراس، وتقوم العادات والأخلاق، وقد تعلم في هذه المدارس كثير من أطفال امكولنلدة وويلز وانجلترا وأرانددة وفرنسا وألمانيا وروسيا وسورية، ممن نزحوا إلى تلك الأرض الجديدة، بفعلتهم مدارس الشعب جميعا أمريكيين، وغرست في نفوسهم حب

وطنهم الثاني ، الذي اتخذوه مستقرا ومقاما ، فهم الآن يعدون أنفسهم أمريكيين ، لهم ما للأمركيين وعليهم ما عليهم ، والفضل في ذلك كله الى مدارس الشعب ، التي يتلاقى فيها كل طفل وطفلة من كل جنسية ودين وطبقة ، على أرض واحدة ، وتحت سقف واحد من غير تفریق أو تمييز .

وللدارس العامة في أمريكا مكان كبير في قلوب أفراد الشعب ، والشعب ينظر اليها نظرة تمديس وإجلال وإكبار ، ويعتقد الأمركيون جميعا أن التربية والتعليم تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم العالم في الأفكار والاختراعات والصناعات ، لذلك نجدهم يدفعون ضرائب التعليم بقلوب راضية ، ونفوس مطمئنة ، ولا يعدونها حملا ثقيلا على أكتافهم بل يعدونها واجبا مقدسا يحزن أممهم ، التي يفخرون بالإنساب اليها ، والعمل على إسعادها ورقبها ، ولقد كشفت الحوادث التي انجبت عنها هذه الحرب أن الأمركيين حقا قد ملكبوا زمام العالم بهذا الاختراع الجديد ، الذي يمكنهم من استخدام الطاقة الذرية .

وفي الولايات المتحدة لا ينظر دافع الضرائب اليها نظرتهم الى صدقة من الصدقات ، بل يعدونها ضرورة لرق الأمة وسعادة المجتمع ، ويتفقون بأن سعادة الشعب تتوقف على ذكائه ، وتربيته تربية حقة ، ويعتقدون أن الانفاق على تعليمه أفضل الوسائل للثروة ، والثروة ، فالعمل المقترب بالجليل ليس بالرخيص ، بل هو ذال دائما ، فكثيرا ما يتلف العامل الجاهل الآلة التي في يده بلهائه ، وهو على الدوام في حاجة الى من يراقبه ويلاحظه ، ويبين له طريق العمل ، وهو في الغالب لا ذمة له ولا ضمير ، والجاهل لا يعرف كيف يستعمل أدوات فراذه في كسب أمور نافعة . من إصلاح نفس ، أو جلب مسرة ، أو قراءة مفيدة ، أو استماع محاضرات أو مناظرات ، فيعتاد السكر والميسر ، والعنف والقسوة ، والاخلال بالنظام ، والمثورة على القانون ، حتى يصبح خطرا عظيما ونسادا كبيرا .

أما العمل الذي يصحبه العلم والذكاء وحسن التصرف فقد أوجد في أمريكا المصانع المختلفة ، وجعلها تنفع بنفاياتها الواسعة ، وبراريتها الشاسعة ، وأوجد لها فرصا كبيرة للحصول على الأموال وتمجيرها ، حتى أصبحت الولايات المتحدة أغنى أم العالم ثروة ، وأعظمها علما وصناعة ، وأرقاها زراعة وتجارة .

وإذا نحن ذهبنا مرة أخرى بعدد فرائد العلم والتعليم وجدنا أنفسنا أمام قضية أدله
الاقناع فيها واضحة ، فقدماتها من البدهيات ونتائجها أمور مسلم بها ، والله تعالى يقول :
”هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون“ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع
على التعليم عملا وقولا ، فمن ذلك أنه كان يطلق سراخ أمرى الحرب إذا علموا بعض
المسلمين القراءة والكتابة ، وقال ”طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة“ ، وقال الغزالي
”من أصاب علما فاستفاده وأناده كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضئئة“ .

وقال بعض الحكماء ”اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد“ ، وقال افلاطون ”التعليم أفضل شئ
يملكه أفضل الرجال“ .

وقال (مونتين) ”الجهل أس الرذائل“ ، وقال (فولر) ”التعليم خير منحة يمكن أن تمنح“
وقال (جيمس ماديسون) الأمريكى ”إن حكومة تكسب حب الشعب من غير تعليم مقبول
عند الجمهور لا يكون عملها إلا مقدمة لرواية هزلية أو مأساة أو مقدمة لكليهما“ .

وقد كان من نتائج الحرب الكبرى الماضية أن تنهت الأمم فى أمريكا وأوروبا إلى
شعور جديد نحو التعليم ، فلما وضعت تلك الحرب أوزارها أخذت انجلترا تفكر فى الوسائل
التي بها تنهض بالتعليم ، فبعد أن كان التعليم إجباريا إلى الرابعة عشر ، مدت مدة التعليم
إلى الثامنة عشرة ، ورجعت البلاد بقانون التعليم فى سنة ١٩١٨ الذى وضع لرفع مستوى
الجيل الجديد فى التربية والتعليم ، وقد تحملت هذه الأمة العظيمة فى سبيل ذلك المشروع
عبئا ماليا ثقيلا أكثر بكثير من العبء الذى كانت تتحمله فى سبيل التعليم قبل تلك الحرب
الماضية ، فوزارة المالية الانجليزية تدفع إعانة للتعليم أكثر من ثلاثة أضعاف الإعانة التي
كانت تدفعها قبل سنة ١٩١٤ . وذلك لأن التعليم فى انجلترا أمر يهم الشعب والحكومة
وإبلهات الحماية كل الاهتمام ، لأن كل فرد هناك يشعر بفائدة التعليم وأثره ، ولأمر ما قال
القيسوف (أراسمس) ”أعطني إدارة التعليم وأنا أتعهد لك بقلب العالم“ .

وما كادت هذه الحرب العالمية الثانية تتوقف فى أوروبا والشرق حتى أخذت المعن
والجهود الانجليزية فى تلك البلاد العظيمة تتجه اتجاها جديدا آخر نحو رفع مستوى التعليم

كأن الفرد العادي في انجلترا لم يتعلم ، كلا ! ولكنها أمة ليس لغايتها في التعليم نهاية . وكثيراً ما نسمع الروم في بلادنا نقداً مراعى انتشار المستنقعات والأمراض المتوطنة ، وكثرة السائين والعجزة ، وفاقدى البصر ، وعن فساد الأخلاق ، وكثرة الجرائم والحوادث ، وليس عندي من علاج إلا أن نعلم الأمة تعليماً صحيحاً ، فبذلك يرتفع المستوى الصحى والاجتماعى والخلقى ، وتحقق تلك الإصلاحات عنفوا بلا تعب ، فإذا أردنا الخير للأمة فخاصين جعلنا التعليم عاماً شاملاً قترأها وأغنياها ، ثم وجهنا عنايتنا بخاصة إلى الفقراء ، لأنهم العمود الفقري الذى تعتمد عليه الأمة ، يجب أن نعلمهم إذا أردنا أن نخلص البلاد ، وأن نتخذ مكانها بين أفراد الرعيى الأول من فافلة الأمم الحية ، يجب أن نعلم الأمة حتى يقل عدد الفقراء ولا نسمح للأطفال بالعمل إلا بعد التعليم ، يجب أن نعلمهم حتى نعدهم لحياة سعيدة وعيش كريم ، يجب أن نعلمهم التعليم النظرى أولاً ثم الصاعى ثانياً ، وليكن شعارنا جميعاً : علموا الفقراء واليتامى والمساكين ، علموا الأمة كلها ، لا تغلقوا المدارس في وجه أى راغب في التعليم ، هبوا الفرصة لكل من يتعلم ، أغرسوا حب التعليم في نفس كل طفل أو طفلة ما

محمد عطية الأبراشى

المنشئ العام بوزارة المعارف

قال اعرابى : تعلموا الأدب فإنه زيادة في الفضل ، ودليل على العقل ، وصاحب في العربة ، وأنيس في الوحدة ، وجمال في الجمال ، وسبب إلى درك الحاجة .

ما يجب أن نقيده من الحرب :

الإقبال على الزواج

للاستاذ عبد الحميد بونس

يمر الزواج بوصفه نظاما اجتماعيا واقتصاديا في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بأزمة شديدة الخطر على كيان المجتمع عامة والأسرة بنوع خاص . فقد دلت الإحصائيات التي أخذت منذ نشوب الحرب الكبرى الأولى إلى الآن على نقص متزايد في مقدار الزواج وزيادة مضطردة في حوادث الطلاق مما أدى بكتاب اجتماعي معروف هو "كالفرتون" إلى أن يؤلف كتابا عنوانه (إفلاس الزواج) ، ولستنا نريد أن ندافع عن الزواج فهو على الرغم من هذه الأزمة لا يحتاج إلى دفاع . وقد دلت الإحصائيات الأخيرة ، على أن مصر بخيرة من هذه الأزمة الزوجية بصفة عامة ، والكافة بين عدد الجنسيتين قائم ملحوظ ، والإقبال على الزواج أخذ في الزيادة والاضطراد .

ومن الحقائق الاقتصادية المتفجرة أن نسبة الإقبال على الزواج تزيد بزيادة الرخاء، وبخاصة في الأمم الزراعية ومنها مصر ، بل إن الميراث الزراعية كوسم التلال أو القطن تتحدد وقته ، والرخاء لا يدفع الرجل الأعزب بالإقبال على الزواج إذا قدم عليه فحسب وإنما يدفع بالرجل المتزوج أحيانا إلى معاودته .

ومن الحقائق المقررة كذلك أن الزواج أكثر في القرى منه في المدن، وأن منه أقل في القرى منه في المدن، وذلك لأن البيئة الزراعية أيسر والمطالاب أقل والحياة أبسط والأبناء ثروة للأباء وليسوا عبئا على كواهلهم كما هو الحال في المدن التي يصعب فيها إنعالة الأسرة وتمتد فيها سبل الحياة .

وليس من شك في أن الحرب الأخيرة قد استحدثت في مصر رخاء مصطنعا وأن هذا الرخاء قد أثر بدوره في الكيان الاجتماعي للطبقات المختلفة وزعزع كثيرا من المقاييس وقلب كثيرا من الأوضاع .

ومن نستطيع أن نقول إنه على الرغم من استيلاء الحكومة على المحاصيل الزراعية الأساسية وشييت أسعارها والتحكيم في إيجار الأراضي فإن الريف أنفاد بعض الفائدة من ظروف الحرب لزيادة الإقبال على المنتجات الزراعية لتغذية السكان والجنود والمهاجرين ومن إليهم ، كما أن كثرة التمد المتداول أدى بدوره إلى زيادة القدرة الشرائية في القرية إلى حد ما ، وبعد أن كانت القرية قبيل هذه الحرب أقرب ما تكون إلى « القرية المهجورة » التي وصفها « أوليفر جولد سميث » في إنجلترا إبّان القرن الثامن عشر لفرار أهلها إلى المدن

باحثين عن العمل والتوت في المصانع أصبحت تحفظ بجانب ليس بالتليل من أهليها، بل إن غير الريفيين أقبلوا على الأرض المزروعة فعلا والمستصلحة والقابلة للاصلاح استفادوا لحاجة البلاد الملحة إلى الغذاء والكساء وتوظيفنا لأموال المكسدة في بعض الأيدي . ونتج عن

هذا أن زادت نسبة الإقبال على الزواج وارتفع الخط البياني لهذه الزيادة ارتفاعا يكاد يكون مفاجئا بعد أن كان آخذا في السقوط . ولكن هذا الإقبال على الزواج عكسه - كما كان متوقعا - تعديل في بعض مراسم الزواج تمس مظهره ولا تمس وجوده . هذا التعديل هو الزيادة الملحوظة في المهور التي أحدثتها زيادة الأسعار وارتفاع مستوى المعيشة، وتقص "الجهار" الذي تدخل العروس به لنقص المروض منه في السوق وغلاء ثمنه، ثم الاقتصار إلى حد يشبه الاستغناء في الحفل الذي يتم به الاعتراف الاجتماعي بالزواج ولم يكن أشل الريف قبل ذلك قد أخذوا بسنة المتدبرين المتوسطين من أهل المدينة في الاستغناء عن الحفل بمجرد الإعلان عن الزواج .

وأول ما لاحظته على هذه الحركة الزواجية أنها تتبع حالة الرخاء . تزيد بزيادته وتنقص بانقصائه، وأن الملاحظة على نسبة الإقبال عليه في الريف المصري والعمل على زيادتها يستلزم أن من غير شك العمل على ترقية أسباب الحياة في الريف ومضاعفة الندرة الشراعية للفلاحين وتجديل الحياة في القرية حتى يستطيع الشاب من الأوساط أن ينشئ لنفسه أسرة يقوم على إعالتها دون حرج أو ضيق . ولسنا من هؤلاء الاجتماعيين الذين يفتنون عند القرية المصرية ويرون ميل أهلها الفطري إلى الزواج والإنجاب دون أن يفتروا إلى أن هذا الميل قد أصبح زائدا عن الزبة الزراعية مما يؤدي بطبيعة الحال إلى اكتظاظ الريف بسكانه من ناحية، وزيادة وفيات الأطفال من ناحية أخرى، واشتداد هجرة الريفيين إلى المدن من ناحية ثالثة .

ونحن نرى أن خير علاج نتى به التقليل الذي أحدثته الحرب في شؤون الأسرة أن تعين الحكومة في تشريعاتها الخاصة بالزواج الحد الأعلى للمهور . وهذا تقضى على الزيادة غير المعقولة في المهور التي أدى إليها الغلاء المصطنع في ظروف الحرب الاستثنائية . ولسنا نريد أن نخوض فيما يخوض فيه بعض الباحثين من أن المهور أثر من آثار « الزواج بالتمراء »، أو كانت تمارسه الجماعات البدائية، وهكذا نكون في الوقت نفسه قد حافظنا على ركن من أركانه ولم نعمل على المساس بشعيرة من شعائره .

ولا يفرب عن الببال أن هذا الاجراء يجب أن يكون مصحوبا بالمحافظة على هذا التقيد الذي استحدثته الحرب بالتخفيف من "الجهاز" والاقتصاد في الحفل أو الاستغناء عنه بالإعلان البسيط الذي يتم به الركن الثاني من أركان الزواج وهو الاعتراف الاجتماعي .

بيد أن هذا كله لا يعفينا من حماية الزواج من غير القادرين عليه الاكفاء له المستعدين لاحتمال تبعاته وذلك باختبار الراغبين فيه من الناحية الصحية والمالية والخلقية . وقديما كانت الجماعة تختبر القادرين على الزواج باقتناص الروس البشرية أو الوحوش أو احتمال ضربات السوط .

وقد تغيرت النظرة الآن وأصبحت الدولة قادرة على الكشف الطبي على الخاطبين ، مسئولة عن إيجاد عمل لعاطليهم والمحافظة على عمل غيرهم . ولنذكر أمها وضمت في الماضي الحد الأدنى لسن الزواج وحافظت عليه وعاقبت من لم يتبعه مع أن زواج الأحداث كان قبل هذا القانون مباحا شائعا في الريف المصرى . وثمة مسألة أخرى على جانب كبير من الأهمية هي حماية سوق الزواج من الذين يتسورونه من الطريق الأسفل ويتخذونه متعة وملهية . يتخلصون من زوجة لينوا بأخرى ، مع أن التعدد نزلت به الأديان وسنته الشرائع في حدود لا تعرف الهوى والعبث .

وإذا انتقلنا إلى المدن وأرباضها فإننا نجد ما قد اكتنظت بساكنيها ومن نزح إليها من أبناء الريف ، ذلك لأن المصانع والأعمال التي استلزمها الحرب وضرورتها اجتذبتهم إليها ، فوجد العاطلون العمل الذي ينشدون ، بل إن الكثيرين من غير العاطلين تركوا ما بأيديهم وانخرطوا في هذه المصانع ، كما أن عددا من الأحداث والسيان تركوا حوانيتهم وحرفهم ووصلوا أنفسهم بالمصانع العسكرية أو المدنية التي اقتضتها ضرورات الحرب المؤقتة طمعا في أجر أعلى وظروف عملية أحسن .

وننتج عن هذا طبيعة انحلالية أن كثر النقد المتداول وارتفع مستوى المعيشة واشتدت قدرة من لم يكن قادرا على شراء الضروري بل وما هو فوق الضروري ، فاضطربت المقاييس وتبطلت الأوضاع وأصبحت قدرة المرء على الكسب هي المعيار الذي يقاس به في نظر الجماعة ، وتضاءلت إلى جانبه المعايير المعنوية التي كانت تقوم على العلم أو الخلق أو الطبقة فقضى ذلك أو كاد على الغضو الأثرى في المجتمع المصرى الذى تسميه "روح الوظيفة" . وكان من آيات تغلغلها في المجتمع المصرى إلى بداية هذه الحرب أنك إذا طلبت إلى شابين أحدهما موظف والآخر في الحياة الحرة أن يخطبا فتاة واحدة فإنك كنت تدهش عند مآثرى أن أسرة هذه الفتاة كانت تفضل الموظف ولو كان إرادته أقل من إرادته زميله بكثير .

وأصبحت بعض الأسر لا ترى غضاضة في أن تخطب ابنتها إلى غير موظف في الحكومة .

وبدئنا أن هذا الرخاء كاد ينقض على الأزمة الزوجية التي كانت تعانها المدينة المصرية وإن زاد المهر - كما حدث في الريف - وقل الجهاز .

ولكن المدينة تختلف عن القرية في أن نسبة السن قد نقصت وأعيد إلى الحفل مظهر
البذخ لغلبة غير المتعلمين على المجتمع المدني .

والمؤسف أن ما أجبل عليه المصري من عدم الاحتفال بالند جميل أولئك وهؤلاء من
أقادوا من كثرة الأعمال المستحدثة والنقود المتداولة ينفقون عن سعة ، وكلما تراخت أعوام
الحرب ظنوا أن ظروفها لن تزول ، فما ادخروا شيئا ، والذي يخشاه الاجتماعيون أن تصاب
هذه الطائفة بالتعطيل وأن تنكمش سوق العمل وتخفض أجورها ومعظمهم قد أقبل على
الزواج ومنهم من تزوج منى وثلاث .

ولا علاج لهذه الحالة في نظرنا إلا الإبقاء على الإنتاج الكبير وتثبيت الأجور حتى
تحتفظ الأسر التي تكونت في غضون الحرب بكيانها وحتى يظل الرسم البياني للزواج على
ارتفاعه مع تجميد المهور وتقليل الجهاز والاستغناء عن الحفل وحماية الزواج من غير القادرين
عليه أو العائنين به .

ولكن هناك طائفة أثقلت كاهلها الحرب على الرغم من جميع الإجراءات التي اتخذت
للتخفيف عنها ، تلك هي أصحاب الأجر الثابتة والمرتببات الجلادة التي ظلت على حالها
رغم ظروف الحرب الاستثنائية وارتفاع مستوى المعيشة ارتفاعا لم تعد هذه الأجور وتلك
المرتببات تتكافأ معه ، والزيادة التي أضيفت إليها لم تعمل على الاحتفاظ لهم بمكانتهم في المجتمع
وبرامجهم من موظفي الحكومة ، فساعد ذلك على زوال الحواجز التي كانت بين طبقتهم وغيرها
من الطبقات ، وقلل من قدرتهم القديمة على الترف ، وقد كانوا في الأصل من المنصرفين
عن الزواج لعدم تحقيق مطالبهم وتعقد أساليب حياتهم وتعدد ملاحظاتهم فازدادت تبعاً لهذه
الحالة رغبتهم عن الزواج وتعذر بناؤهم للأمر مع الاحتفاظ بمستواهم في الحياة الاجتماعية ،
ولولا استحداث أعمال جديدة استازمتها ظروف الحرب ، وان كانت الأجور عليها كأجور
ما قبل الحرب ، ولولا تراخي بعض الأسر في مطالبها لاستنفدت أزمة الزواج بين هذه الطبقة
واستحال حالها . ومن الوسائل المحمودة التي بلأت إليها الحكومة في غضون هذه الحرب
والتي يجب علينا أن نحافظ عليها وأن نستزيد منها حتى نضع قاعدة العلاوة الاجتماعية لصغار
الموظفين والمستخدمين والعامل ، فالأصل في الأجر أن يكون مكافئاً للعمل لكنه في هذه الحالة
يجب أن يكون مكافئاً للعمل والحالة العامل الاجتماعية .

وغنى عن البيان أن هذه العلاوة يجب أن تتمدد من ناحيتين :

الأولى : أن يفيد منها المتروج ، وان لم يجيب ، وذلك لأنه يعول شخصاً آخر من حقه
على المجتمع ألا يغفل حسابه .

والثانية : أن تزيد قيمتها حتى تتكافأ مع مستوى المعيشة ومكانة هذه الطبقة ، ولا بأس
من أن يتحمل الأعباء القادر في المجتمع المصري الراغب عن الزواج بعض نفقات هذه
الخلاوة لأنه يتغلى عن واجب اجتماعي ويتحرر من أعباء حياته الحياة لاحتياطاً والقيام

بمسئولياتها، ولكن هذا لن يثري ثماره حتى تعيد الهيئة الاجتماعية النظر في أجور هذه الطبقة؛ وقد انقضى الزمن الذي كان يطالب فيه بإتباع الأجور ويقاس الرخاء فيه بهبوط الأسعار ويجب أن تصحب الدعوة إلى التأمين الصحي دعوة إلى التأمين الاجتماعي . . . تدعو إلى الزواج وتعين العائل وتحافظ على عمل صاحب الأسرة . . .

ويلاحظ الاجتماعيون أن مصر تمر بظروف تشبه إلى حد ما ظروف بعض الدول الأوروبية بعيد الثورة لصناعية وبخاصة في زيادة ضغط المرأة على سوق العمل، فقد دلت الإحصائيات الأخيرة على شدة الإقبال على تعليم البنات وفق برامج البنين إلا في معاهد يسيرة، كما أن الحاجة الملحة إلى الأيدي العاملة في سوق العمل الهني قد فتحت الباب على مصراعيه للمرأة في العمل غير الفني، وأصبحنا نرى طبقة من العاملات تشبه تلك الطبقة التي كانت تعرف في إنجلترا بـ "صاحبات الجراب الصغيرة" يعملن في مصانع الأزرار والنسيج والحياكة وغيرها . . .

وسؤدى هذا الضغط بطبيعة الحال إلى زيادة الاستقلال الإقتصادي للمرأة العاملة، وقد يضطرب بذلك الميزان الاجتماعي فلا تصيح المرأة غير المتروجة أو العانس امرأة منتطاة كما كان الحال في الإقتصاد الاجتماعي القديم، لأن وظيفة هذه العاملة لم تعد تارة على الزواج وقد يكسبها هذا الاستقلال شيئاً من المنفعة الاجتماعية يارنها على حسن الإنتساب الطبيعي، وقد يصرفها جملة عن الزواج وتبعاته الجسام . . .

والغالب أن هذه الطبقة ستساعد في الإذبال على الزواج كما كان الحال بين المشتلات في التعليم والطب، ذلك لأنهن سيقتن عن أولياء أمرهن بجهيز أنفسهن للزواج، كما أن الجنس الآخر كاد يتخلص من النظرة القديمة وأصبح ينצל العاملة على غير العادة تفضيلاً للكفة على غير المالكة لتعاون وإياد على إءالة الأسرة ومواجهة ضرورات الحياة . . .

والخلاصة أن مصر لا تمر بأزمة زواجية بل إنها على العكس قد أُنادت من ظروف الحرب في الإقبال على الزواج إقبالاً لم يسبق له مثيل من قبل، ولكن الذي ينبغي أن نعي به ونهياً لمواجهة ما قد يصيب الأسرة من تقلب واضطراب نتيجة لانهيار الحرب وزوال مؤثراتها . . .

وقد سبق أن بينا أن الإقبال على الزواج يتناسب مع حالة الأمة الإقتصادية تناسباً طردياً يزيد بزيادة الرخاء فيها وينقص بنقصه، إذ فعلينا أن نجعل الرخاء الذي استهدته الحرب حقيقياً بعد أن كان مصطنعاً وأن ندعو إلى الزواج ونرغب فيه ونفضل المتزوج على غير المتزوج في سوق العمل، ونفضل العائل على غير العائل في الأجور حتى نحافظ على مثل الأمة الإجتماعية والحلثية ما . . .

عبد الحميد يونس

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية

العمال في مصر والخارج

للاستاذ عبد العزيز عبد المجيد

انعقد في باريس خلال شهر أكتوبر مؤتمر نقابات العمال الدولي ، واشتركت فيه نقابات "وحكومات" من جميع أمم العالم تقريبا . وقد مثلت فيه مصر ، مثلت حكومتها كما مثلت أيضا نقابات العمال المصرية . ومن الأغراض الرئيسية التي عند من أجلها المؤتمر إنشاء اتحاد عالمي لنقابات العمال ، تكون له في المستقبل كلمة مسموعة وقرارات نافذة المقبول في كل الأمم المتحدة .

والذي يهدد بنا أن نلاحظه في اتجاه هذا المؤتمر هو روح الديمقراطية التي تسود اجتماعاته وقراراته . ذلك لأن العمال في أية أمة من الأمم - صناعية أو زراعية - هم السواد الأعظم من السكان ، فهم إذا قوة لا يستهان بها في السلم والحرب ، وهم جمهرة الشعب ، وهم يستطيعون بتعاون نقاباتهم وبقراراتهم أن يضعوا حدا لروح الدكتاتورية القومية ، ولروح الاستعمار العالمية ، ولروح الحربية ، لأنهم الطبقة التي تقاسى الشدة عادة في ظل الدكتاتورية في أوقات الحرب .

ومصر بلاد زراعية ، وأغلب سكانها فلاحون لا يملكون شيئا من الأرض ، أو يملكون القليل منها ، فهم في الواقع عمال بالمعنى العام الذي يشمل كل من يعمل بيده نظير أجر في الصناعة أو التجارة أو الزراعة . ومع ذلك يمكن القول بأنه لم تظهر بمصر حركة العمال الصناعيين إلا منذ بدء الحركة الاقتصادية القومية بانشاء بنك مصر ومؤسساته المختلفة . فمن ذلك الحين كثر عدد العمال في البلاد ، وتنوعت حرفتهم ، وأخذوا يكونون لهم نقابات على غرار النقابات العالمية التي تكونت في البلاد الأوروبية . وواضح أن الغرض من إنشاء هذه النقابات هو ضمان مستوى مناسب للعمال من حيث سلامة الجسم والعقل ، والصحة والعافية والأجور ، وظروف العمل ، والراحة . وقد تكونت في مصر مجموعة من النقابات كنقابة عمال السيارات ، ونقابة عمال الترام ، ونقابة عمال شركة النزل الأهلية ، ونقابة المحالين وغيرها . ولكن كثيرا من العمال يعملون من غير أن ينتموا إلى نقابة من النقابات ، وهم مع ذلك في حاجة إلى قانون يحميهم ضد صاحب العمل . وقد تنبهت الحكومات المصرية المختلفة إلى ضرورة حماية العامل ، فأنشأت مصلحة للعمل ، وركبتا لتوظيف العمال ، واستصدرت عددا من القوانين لتنظيم نهضة العمال في البلاد كقانون عقد العمل الفردي ، وقانون إصابات العمال ، وقانون تأمين العامل ، وكذلك أعادت إنشاء مجلس العمل الاستشاري الأعلى الذي يمثل فيه العمال كما مثل أصحاب الأعمال .

ضم سبقت الأمم الأوروبية مصر في تنظيم نهضات العمال وحمائهم ؛ وذلك لأن نمو
الصناعات وانتشارها باختراع البخار والكهرباء وتسيير القوي المحركة غير البشرية ظهر في
تلك الأمم قبل مصر . ونحن نعتبر أنفسنا مبتدئين إذا قورنا في نهضتنا العمالية ببلاد كإنجلترا
مثلا ، تلك البلاد الصناعية التي تتوقف حياة سكانها على ما تصدره من بضائع مصنوعة
وما تستورده من أغذية ومواد خام . فمن مظاهر عناية إنجلترا بالعمال أن بها وزارة خاصة
بالعمل هي ، وأن حزب العمال هنالك يتمتع بنفوذ سياسي كبير
حتى آلت إليه الأغلبية في الانتخابات لأخيرة التي أسفرت عن قيام حكومة حزب العمال^(١)
والعمال في إنجلترا قوانين مقررته تنظم شؤونهم ، وإجازة سنوية رسمية تعترف بها الحكومة
وتتفضل من أجلها الدواوين والمصالح ، حتى يوم أول مايو ، وفي الولايات المتحدة يوم إجازة
رسمية للعمال هو الاثنين الأول من شهر سبتمبر .

ونحن هنا في مصر نشعر بأن هذه الحرب الأخيرة قد زادت من عدد العمال في البلاد ،
وخلقت منهم أنواعا مختلفة .

وقد تنهت الحكومة الى ما سيحدث نتيجة لاستغناء السلطات العسكرية عن هؤلاء العمال
فأخذت تدبر لهم وسائل العمل ، وتوجههم بالتدرج الى الشركات والمصانع :

ولما كانت مصر مقبلة الآن على عهد صناعي جديد يشمل كبرية خزان أحواض وبعض
الخطوط الحديدية ، وشارعة في برنامج ضروري من الإصلاح كبناء الطرق ، وردم البرك ،
وإصلاح المجرى والتوسع فيها ، والنهوض بمشروعات الري والصرف ومياد الشرب ، وبناء
المدارس والمستشفيات ، وكان مستقبل العمال في مصر يدعو للتفاؤل . والبلاد ما زالت
في فجر نهضتها الصناعية ولم تستغل بعد كل مواردها الاقتصادية . ولا بد من أن نلجأ الى
هذا الاستغلال حتى نضمن لسواد الشعب مستوى مناسباً من الحياة المادية والاجتماعية .

ولمى وأنا أكتب الآن محيا نهضة العمال في مصر ، وراجيا لها كل توفيق أستببح
لنفسى أن أستجل بعض الملاحظات على حالة العامل في مصر كما هي الآن :

١ - الإعداد : كنت ذات مرة في صالون حلاق بإنجلترا أدار بيننا الحديث عن
حياة العمال وأجورهم وأعمالهم ومؤهلاتهم . فتبينت من حديث الحلاق أنه ألماني رحل

(١) يرجع تكوين هذا الحزب الى برايزة ١٩٠٠ عقب مؤتمره من انتخابات العمال والحيثيات الاشتراكية
المختلفة في البلاد . وقد أطلق عليه اسم اللجنة الثالثة للعمال . وفي ذلك المؤتمر أعلنت اللجنة من تكوين هذه اللجنة
وهي أن تكون هيئة منبذة للعمال في البرلمان ويكون لها قوة فعالة وسياسة واضحة متفق عليها . وما تضمنه هذه السياسة
استعداد العمال للتعاون مع أي حزب سياسي يعمل لاستصدار تشريعات في صالح العمال .

إلى انجائنا ، وأن قانون العمل في بلاده لا يسمح لأى عامل أوصنع أن يبدأ حرفة أو مهنة إلا بعد أن يجتاز امتحانا رسميا تشرف عليه الدولة . ومعنى هذا أن باب العمل مفتوح لنوع خاص من العمال هو من ثبتت صلاحيته بعد الخبرة والامتحان . ولا يخفى ما لهذا التمييز من أثر في جودة إنتاج العامل والارتفاع بمستوى العمل نونا وكما . فهل أدركنا نحن في مصر قيمة هذا الإعداد؟ حقيقة عندنا عدد من المدارس الفنية ، الصناعية والزراعية والتجارية ، ولكن أغلب عمالنا في مصر يتعلمون مهنتهم بالممارسة ، ويكنى "الصبي" أن يمضى مدة من الزمن عند "الأسطى" حتى يعرف حرفته الجديدة ، ثم يبدأ في مزاولتها كعامل مستقل ، نجار أو سباك أو خياط أو حلاق أو زجاج أو حداء . ومن الطبيعي أننا لا نتنظر لصناعتنا نهوضا اقتصاديا قائما على استخدام النظريات العلمية ، في هذا العالم الذى أساسه المنافسة الاقتصادية ، إلا إذا أعدنا العامل . فكيف السبيل إلى هذا الإعداد ؟ الأمية لا تزال قائمة وما لم تكافح الأمية كفاحا ناجحا وتنتصر عليها لا يمكن أن ننظم أى دراسات مهنية ، لأن لدراسات المهينة الحديثة أساسها القراءة والكتابة والحساب . فالعامل الأوربي يعرف القراءة والكتابة قبل أن يبدأ في تعلم حرفته وممارستها . وإذا فلا بد أن ننظر إلى إزالة الأمية كعامل أولى في تحسين مستوى العامل المصرى ، ولا بد أن تسير مكافحة الأمية عند العمال مع التعليم المهني جنباً بجنب ، وأن يكون ثمة مستوى مقرر من الإجابة يجب أن يصل إليه العامل في حرفته قبل أن يزاولها .

٢ - الخلق العالى : يعوز العامل عندنا هذا النوع من الخلق الذى يجعله على وفاق ووثاق مع صاحب العمل ، ومع رئيسه وزمياه وكل من يتصل به . ولعل للتقارب تحارب متلى سبب فيها العامل كثيرا من المكدرات بسوء معاملته . فقد تكفل إلى نجار مثلا صنع دولاب ، وتنفق معه على نوع خاص من الخشب والدهان ، وعلى يوم خاص لإنجازه . ولكن لشد ما يضايقك إهمال هذا النجار وعدم احترامه للاتفاق ، فهو لا يستعمل الخشب أو الدهان المتفق عليه ، وهو قد يخلف الميعاد مرة ومرة من غير عذر ووجه أو شهور المسؤولية وقد تضطر أخيرا إلى استرجاع ما عسى أن تكون قد دفعته من عربون . وربما تترك العربون عجزا عن استرداد بطريق ودى . وقد تنفق مع سباك على أن يجيء إلى منزلك لإصلاح ماسورة فى ساعة معينة ، ثم تنتظر فى الميعاد المحدد ولكن من غير جدوى . وقد يجيء ولكن فى يوم آخر ومن غير ميعاد محدد ثم هو لا يعتذر عن إخلاله الميعاد السابق . وإذا ما قام بالعمل المطلوب أداه أحيانا فى غير أمانة فنية فلجأ إلى غيره لإصلاح ما أفسده لأول . وقس على هذين المثالين الكثير من الأمثلة فى حياتنا اليومية مع العمال والصناع . فهل يلام العامل أو الصناع على هذا التقص الخلق ؟ نعم ولا ، أما نعم ، فلأنه هو المسئول عن

سلوكه ، وأمالا ، فلأن ثقافته العالية وتكوينه الأخلاقي كعامل لم يتصل به بعد إلى فهم حاجياته ، وإدراك تبعاته ، بقدر ما يفهم حقوقه . فهو إذا معذور إذا وجدنا في سلوكه مواطن ضعف .

٣ - الثقافة العالية . كثيرا ما يقال عن العامل المصري إنه مقلد ماهر . وهو قنوع بما يتصل إليه من مستوى في عمله وإنتاجه من غير طموح للتجديد والإبتكار . وفي أوروبا نجد نهضات العمل من حيث الفن والإنتاج في تقدم مستمر . وبذلك يمكن الاحتفاظ بالسوق في وسط هذه المنافسات الاقتصادية ويست الثقافة العالية مقصورة على الناحية الفنية بل هي تشمل اتساع الأفاق العلمي والأدبي والاجتماعي ، ومعرفة العامل ما عليه من واجبات نحو صاحب العمل ، ونحو زميله ، ونحو أسرته ، ونحو ثقافته . ويؤسفني أن يرى العامل المصري محروما حقا من وسائل الثقافة العالية . ولكن الأمم الأخرى قد نظمت منذ عهد بعيد إلى ضرورة هذه الثقافة فأعدت دراسات منتظمة للعامل لتجديده معارفهم وتهذيبهم ، وأعدت لهم دراسات مسائية ونظمت لهم محاضرات يدعى إليها مشاهير المحاضرين ، كما نظمت لهم اجتماعات للبحث والمناقشة ودرس شؤونهم الثقافية والمهنية ، وحيات ، لم أنلما تعرض حياة العمال في البلاد الأخرى .

فما نصيب العامل المصري من كل هذا ؟

إن الذي يبدو لي من نهضة العمال عندنا بمصر هو أن العناية فيها موجبة إلى كسب حقوقهم التي تضمن لهم حياة مادية معقولة . ولكنني أود أن أشير هنا إلى أن من لا يعرف حاجياته لا يعرف كيف يستفيد من حقوقه . وعلى العمال في بلادنا واجبات . ونحن مسئولون عنهم على أن يدركوا قيمة ما عليهم من واجبات حتى يطالبوا بحقوقهم عن جدارة . فإلى نخاة هذه النهضة العالية أوجه النداء : أن تقفوا العامل ووجهوه في مهنته وفي سلوكه ، وارفعوا من مستواه المهني حتى لا يقال إن ما تمتع به من حقوق أكثر مما يستحقه من واجبات ما

عبد العزيز عبد الحفيد
المدرس بمعهد التربية العالي

المذاهب الاجتماعية والاقتصادية العظمى

٢ - نظرة عامة

للدكتور محمد غالب

لقد بسطنا في التصول السالفة مشكلة الملكية والعمل وما تفرع منها مع الزمن من معضلات اقتصادية واجتماعية تختلف أهميتها وكثرة وقلة باختلاف نتائجها ، ثم عرضنا في الكلمة الأخيرة للمذاهب الاجتماعية العظمى التي تشعبت من مبادئ اقتصادية ، فأبنا أمياً قسماً بتمارضان يشغل كل منهما طرفاً مقابل لما يشغله الآخر من حيث النظريات والأسس التعليلية والنتائج النهائية في الحياتين المالية والعمرائية ، وقد أسلفنا أن الطرف الأول منهما يدعى بمذهب الأحرار ، وأن الثاني شعبتان متفتحتان في بعض المبادئ ، يختلفتان في بعضها الآخر ، وهما شعبتا الشيوعية والاشتراكية . ولما كنا قد بسطنا في التصول السالف مذهب الأحرار وأبنا ماله وما عليه ، فقد وجب علينا أن نلم اليوم بشعبي الطرف المعارض . وينبغي أن نقرر أولاً أن الباعث لنا على جعلهما شعبتين من طرف واحد هو اتفاقهما في مبدأ وجوب هدم الأنظمة الحاكمة لعدم صلاحها في نظرهما لتجتمع واستبدالها بغيرها أدنى منها إلى العدالة وأغرب إلى تعميم النفع في الإنسانية إلى آخر ما تزعم له ، ولكننا إذا أغضينا عن هذا الاتفاق في وجوب الهدم ألفيناهما شعبتين متباينتين ، لكل منهما طابعه الخاص ومميزته الشخصية . ولهذا يؤسفنا كثيراً ما نشاهده في عصر من عطلت الكتاب الذين يزجون بأنفسهم في ميادين معالجة هذه المشكلات في التصرف ، ورغم لا يكادون يتبينون الفروق البارزة المتعممة بين الشيوعية والاشتراكية ، ولعل هذا الخلل من الكتاب الذين يعرضون لما لا يبيحون هو السبب في تحبط الرأي العام في الحديث عن هذه المذاهب تلك الهيئة الأملية التي يفمرنا تيارها في هذه الأيام دون أن يتفهمها الكثيرون منا أدنى تفهم ، فمن توحيد الشيوعية والاشتراكية ، إلى المزج بين الديمقراطية والاشتراكية ، إلى الخلط بين هذه الأخيرة وبين مبادئ الإسلام ، إلى الجزم بأن تغيير نظام توزيع الزروة هو عينه تنفيذ شعيرة الزكاة الإسلامية مادام أن كل منهما مأخذ من الآراء وإعطاء الفقراء ، إلى التحبط بين المساواة في الحقوق والواجبات وبين إلغاء الطبقات أو بين العدالة القانونية والعدالة الاجتماعية وما إلى ذلك من التعثر في ثياب الاحكام الخاطئة ومتابعة الأوهام الضارة .

ونحن لا نرتاب في أن هؤلاء المواطنين الأختار لو عرفوا حقائق هذه المذاهب وما تنطوي عليه من مبادئ وما ينبهم عن تطبيقها من نتائج لاحاطوا في أحكامهم وتربوا ، في دعاياتهم ، ولتجنبوا الخلط بينها وبين المبادئ الإسلامية ، واندمسوا على الاندفاع في هذه التيارات قبل استكناه دواخلها .

هذا كله من جهة ، ومن جهة أخرى فإننا نرى أن هذين الطرفين المتعارضين : طرف الأحرار من ناحية وطرف الشيوعية والاشتراكية من ناحية ثانية هما التياران اللذان يتجاذبان العالم اليوم ويتنازعان البقاء في الفوز بأكثر عدد ممكن من أمم الغالبة والمغلوبة ، فبيننا نشاهد الولايات المتحدة — وموقفها الاقتصادي زاهر هنيء كما نرى — تعترم العودة إلى مبدأ الأحرار الذي كان سائدا في بلادها قبل الحرب والذي لم يكن عدولها عنه مؤقنا إلا خضوعا لضرورة الأحكام العرفية ، ونشاهد كذلك أن أرباب الحل والعقد الإقتصاديين فيها يحزمون بأن هذا هو المنهج الوحيد الذي يمكن سلوكه للوصول إلى النجاح والسعادة . على حين نرى أن أكثر شعوب أوروبا — وحالتها الاقتصادية هي على ما نعلم من النفاقة التي بلغت حد الخروج — قد أخذت تلتجئ إلى الحكومات وما تملكه من تشريعات خاصة عفيفة عسى أن تجد فيها سلامتها من هلكة الفقر رغم ما في تلك التشريعات من عدوان على الحرية الفردية .

وأيا ما كان فسنبدا اليوم بحثنا بعرض المذهب الشيوعي معلنين أننا سنتناوله من حيثه الاجتماعية فحسب ، معرضين عن جانبه السياسي الذي له اعتبارات أخرى ليس في مجاله الشؤون الاجتماعية ميدان لها ، وإليك البيان :

المذهب الشيوعي

لقد ظهرت الشيوعية كحدث من الأحداث الاجتماعية في أكثر العصور التاريخية ، ففي أسبارتا يشير إليها " ليكوجيوس " في تشريعاته إشارات جلية وإن لم تكن عامة . وفي جمهورية أفلاطون نلغى الدعوة إليها واضحة والتبشير بها قويا شاملا ، وإن كان قد تنبه بعد تنوجه إلى بطلان نظريته فيها وأعلن أنها وهمية غير ممكنة التحقيق وعدل عنها في كتاب " النواميس " الذي يمثل أدق آرائه وأكثرها رصانة وشبانا . وفي فارس نشاهد " مانيحس " يتخذها أساسا من أسس فلسفته وينادي بوجود تعميمها كسياسة من وسائل القضاء على الشر المنتشر في الإنسانية . وفي القرون الأولى بعد المسيح نرى آباء الكنيسة يحضون عليها باسم العدالة والإنصاف ، وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر نجد " توماس موروس " في إنجلترا ، و " فينلون " في فرنسا ، و " كامبانيا " في إيطاليا يقومون بجهود قوى في سبيل إذاعتها بين جميع اليثبات التي يمكن أن تسمع أصواتهم . وفي القرن الثامن عشر نرى " بابوف " و " موريل " في فرنسا يرسمان الشيوعية في صورة فاتنة خلافة ويدعون الآونة التي تشمل فيها العالم كله باسم العصر الذهبي البدائي الذي كان يفيض السعادة على الجميع قبل أن تفسد البشرية .

غير أنه ينبغي أن نعلم علم اليقين أن كل هؤلاء الفلاسفة والمشرعين والمفكرين النظريين لم يكونوا من رجال الاقتصاد ولا من علماء الاجتماع بالمعنى الحديث الدقيق لهذه الكلمة ، ومن ثم يجب علينا أن نقبه إلى أن فكرة تسيير الجماعات البشرية بنواميس طبيعية تسودها سيادة تامة كانت بعيدة عن أذهانهم كل البعد ، وإنما كانوا جميعا يدعون إلى هذا المذهب باسم المثل الأخلاقي الأعلى ، وهو تحقيق العدالة التي كان كل واحد منهم يدركها إدراكا ذاتيا خاصا ، لا موضوعيا عاما ، فنشأت عن هذا للعدالة صور نسبية أو اعتبارية ، وفوق ذلك فإن نظراتهم كانت تقتصورة على بعض جوانب المسألة دون بعضها الآخر فلم يميلوا علما بالنتائج الخطيرة المترتبة على تطبيق هذه المبادئ . ولقد حملهم هذا التصور في النظر على الاعتقاد بأنه من الممكن تغيير الأنظمة الاجتماعية بغتة سواء أ كان ذلك عن طريق التشريع أو بواسطة إجراءات عنيفة .

ومهما يكن من شيء فإنه يجب علينا أن نبين ابتداء أن أولئك المفكرين الذين دعوا إلى هذه المبادئ كانوا في العموم متشائمين حذرين من الفرد ضمني الثقة إلى حد بعيد ، ولذلك كانت الأنظمة التي يحملون بها تضعه دائما تحت وصاية ضيقة الإطار . وقد صير هذا الضغط الاجتماع متوقفا على أنه إذا كانت الشيوعية مبدأ مساواة ، فإنها ليست ديمقراطية البتة لما فيها من خنق حرية الفرد وإذابته تحت أقدام الجماعة .

ومن أهم أسس هذا المذهب - بعد وضع الفرد تحت وصاية المجتمع - وجوب إلغاء الملكية الشخصية بإلغاء تاما سواء في ذلك مواد الاستهلاك وثمار العمل وآلات الإنتاج ، وهو لا يعرف من أنظمة التوزيع غير نظام واحد هو الأخذ من المنتجات العامة بقدر ما تدعوا إليه حاجة الاستهلاك ، وفي هذا يقول "توماس موريس" (١) " في كتابه "إيتوبيا" ما يأتي " كل فرد يعمل حسب ميوله ، ولكن يجب أن يعمل الجميع ، وثمار العمل يجب أن تعد للجميع " . وفي هذا أيضا يقول "لينين" في كتابه "الدولة والثورة" " ما نصه : " إن تقسيم المنتجات لم يعد يعد يتطلب أن تحدد الجماعة لكل فرد منه نصيبه الذي يعود إليه من ثمار أعماله ، وإنما كل فرد سيكون منذ الآن حرا في أن يأخذ ما يحتاج إليه " .

وينبغي أن نشير هنا كذلك إلى وجهة نظر أساسية عند أولئك المفكرين النظريين وهي أن ذلك الوضع الأخلاقي المثالي الذي تضع فيه الشيوعية نفسها يازمها بأن تعد في العموم كل وسائل الثراء والملكية الفردية ونشاط الإنتاج وحركات الإستهلاك منابع خطيرة للافساد

(١) توماس موريس هو مفكر إنجليزي منظر ، وقد اشتهر بأرائه الوهمية المشرفة وكان وزيرا للعدل وقد أجب

أن يعترف بالسلطة الروحية لتلك هنري ثامن بقطع رأسه في سنة ١٤٣٥

تجب إبادتها لتحقيق المثل العليا وفي طابعها العدالة والمساواة . ولهذا لما كان في إبادته هذه الوسائل توضيحية بالذات الشخصية ، فقد دنا بعض أنصار هذا المذهب الأولين كأفلاطون وآباء الكنيسة إلى القناعة وتضييق حدود الحاجات الفردية . وفي هذه النقطة بالذات تبعد البولشيفية عن الشيوعية البحتة القديمة التي دعت إليها المثالية الأخلاقية — وإن كانت صادرة عن فكرة خاطئة — إذ أن لينين في ذلك الكتاب السالف نفسه يدعو أنصاره إلى مناعة القنوى الإنتاجية والعمل على امتداد سلطانها إلى أكثر الحدود الممكنة ، وبالتالي هو أبعد ما يكون عن الدعوة إلى تحديد الذائد والرشبات .

نقد هذا المذهب :

يلاحظ العلماء من الناحية النظرية قبل كل شيء أن منهج المذهب الشيوعي قد أسس على فكرة مثالية لم يعمل فيها حساب ألته للتجربة العملية ، ولا ريب أن فقدان هذا الأساس الجوهري منه وهو تحديد الأحداث الاجتماعية بمجمله في نظر البحث الحديث ضئيل الأهمية إن لم يضمه في عداد المبادئ المختلفة التواء والأركان .

ومن دواعي الأسف أن هذا المذهب محبب إلى جماهير الأمم وأكثرياتها الغالبة ، حيثولاء أنفسهم هم الذين لا يستطيعون إدراك أن هناك نوايس طبيعية تسود المجتمعات بحيث تنظمها حسب أمتصاصات الضرورات القاهرة ، وفي هذا يقول دوركيم : "إنه لا يوجد إلا عدد قليل من العقول هو الذي تتظفل فيه هذه الفكرة الصحيحة التي مؤداها أن الجماعات خاضعة لتوازن ضرورية ، وأنها بهذا الخضوع ذاته تؤلف النوع الطبيعي ... وقد نشأ من هذا الجول تصور أن أنظمة المجتمعات تغير عن طريق المعجزات أي بدون التجاء إلى معونة الطبيعة .

وفي الحق أن دراسة علم الاجتماع تظهرنا على ذلك التماسك المتين الذي يربط بين مراحل التطورات الاجتماعية أي تبين لنا ما نحن مدينون به للماضي وتوحدنا من ذلك السراب الخداع الذي يبدو لأعيننا من خلال تلك التغيرات الفجائية .

وإذا كان المذهب الشيوعي يحتوي من الوجوه النظرية على هذا العيب الأساسي ، فإن الذي لا ريب فيه من الناحية العملية تكون أكثر موطن الأخطاء وأشد تعرضا للنقد ، بل للهدم ، وهذا هو الذي كان بالفعل ، فقد سددت إلى قلبه سهام جادة من النقد الإيجابي المؤسس على التجربة والمشاهدة كذلك السؤال العويص الذي اتجه إليه منذ زمن غير يسير ولا تزال الجبهة المعارضة تنتظر الإجابة عليه حتى الآن وهو : كيف يمكن أن يضمن القائمون بتنفيذ هذه المبادئ إرضاء الحاجات المعتدلة المشروعة التي تتطلبها البعض ويقتصر

عليها ، بل كيف يستطيعون تحقيقها ضد أولئك الخشوعين الذين لا تقف حاجاتهم عنده حدود التوسط والاعتدال ؟ وفوق ذلك فإن نظرية الاستهلاك من مجموعة الإنتاج العام تتطلب من الجميع أن يكونوا بالضرورة في أسمى أوج العدالة والتزاهة والخيرية حتى يشعروا بأنه يجب عليهم أن يعملوا أقصى ما في وسعهم لزيادة المحصل العام ولا ينفقوا منه إلا بقدر الحاجة الماسة لكي ينال كل فرد حظه من الرضى والاطمئنان ، وتلك هي الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تطبيق هذا المذهب ، ولا نحسب أن أنصاره قد وصلت بهم الجراقة إلى حد ادعاء بلوغ الإنسانية هذه المرتبة من الكمال ، ومن أضع الأدلة على خطأ هذه المبادئ تلك النتائج السيئة التي كشفت عنها التجربة المريرة التي عاينها الدولة الروسية فيما بين سنتي ١٩١٨ و ١٩٢١ والتي أظهرت في جلاء سطحية أولئك النظريين الذين لم يتنبهوا إلى الرذائل الإنسانية، وفاتهم أن يرقنوا بأن الزراع سينشئون زراعة الأرض إذا لم ينجسوا ممار أعمالهم بهيئة شخصية ، وأن العمال لا يطبقون قانون العمل تطبيقا دقيقا إذا لم تعد عليهم نتائج مشقتهم بطريقة مباشرة . ولذلك أننى القادة الروسيون أنفسهم — بإزاء تلك النتائج الأسيئة التي أسفرت عنها تجاربهم — مضطرين إلى العدول عن تلك المبادئ الوهمية، ولم يجدوا بدا من اللجوء في سنتي ١٩٢١ و ١٩٢٢ إلى تأسيس سياسة اقتصادية جديدة عادت أدراجها إلى احتضان مبدأ الفائدة الفردية وإن كانت قد ظلت محتفظة بإطار شيوعي واشتراكي وهو ذلك المزيج الذي يؤلف البولشفية . ومن مميزاته أنه كثير الانعطاف نحو الاعتدال الذي اضطرته إليه ظروف الفشل القاسية .

المذاهب الاشتراكية

حد علماء الاجتماع الاشتراكية في معناها الحقيقي بأنها هي : ” مبدأ يكمل إلى الدولة تكريما للتصرف في جميع وسائل الإنتاج وتحديد سيرها وتحقيق توزيع المنتجات لضمان العدالة المنقودة في الأنظمة الحاضرة “ .

ولكن ينبغي أن نعرف أن هذا التعريف للاشتراكية هو حسب أصولها الأساسية ، ولهذا لا يتناول جميع الفروع التي نالت حظا وافرا من التطور أبعدها عن المبادئ الأوضح وأيا ما كان فإن الاشتراكية ليست مذهبا واحدا وإنما هي عدة مذاهب يختلف بعضها عن بعض في ثانوياتها وأغراضها وإن تكوينا جميعها حديث نسبي ، إذ أنها قد ظهرت للمرة الأولى كمنظريات متناثرة ذات أنصار في فرنسا وإنجلترا في أوائل القرن التاسع عشر . وأشهر دعواتها في ذلك الحين ” سان سيمون “ و ” فورييه “ الفرنسيان ، و ” روبير أوبن “ و ” مومبسون “ الإنجليزيان ، وكان إزهر هؤلاء جميعا حوالى

وبعد ذلك العهد طلقت هذه المذاهب تقف على أقدامها تدريجياً ، بل حولت تثبتها في أرض أوروبا شيئاً فشيئاً حتى صار لها على مر السنين ذلك التيار القوي الذي يكاد الآن يجتاح الأخضر واليابس إلا في البلاد المتعصبة المحتفظة بكيانها كالولايات المتحدة . ولكي نرسم لك صورة صادقة بقدر المستطاع من هذه المذاهب يجب علينا أن نبدأ بتسميتها وتمييزها من حيث المنهج وإليك إجمال هذا :

إذا تتبع الباحث نشأة هذه المذاهب وظروف تكوينها ألقى أنها — كالمذهب الشيوعي الذي أسسنا الحديث عنه آنفاً — تقف نفسها حيناً موقفاً المتطلع إلى أنبل الغايات الخلقية وأسمائها وهي العدالة، وفي هذه الحالة تدعى باسم الاشتراكية الوهمية . ومن أشهر دعاة هذه المبادئ الاشتراكي الفرنسي "لويس بلان" الذي اجتازت نظرياته أوروبا كلها إبان الثورة الفرنسية الثالثة في سنة ١٨٤٨

وحينما آثرنا شاهد دعاة الاشتراكية يتكون الأوهام والأخيلة ويلتجئون إلى الأحداث الواقعية يؤيدون بها مواقفهم على نحو ما يفعل أنصار مذهب الأحرار ، وتدعى المبادئ المؤسسة على هذا النحو باسم الاشتراكية العلمية . وأول زعمائها هو "كارل ماركس" (١) الذي كان يريد أن يثبت أن ضرورة الحياة نفسها — بدون أي التجاء إلى المبادئ الأخلاقية وأدنى تمحكك بالمثل العليا — هي التي تستلزم أن تستبدل الجماعات الحالية بجماعات أخرى تدبر بالاشتراكية وتطبقها تطبيقاً عملياً دقيقاً . وكيفية تحقيق هذا فيما يزعم ، هي أن التطورات الاقتصادية الحالية وانتشار الآلات الميكانيكية ، وفقدان تناسب الذي يزيد ويتضاعف باطراد بين القوى المنتجة من ناحية ونظام الإنتاج وتوزيع المنتجات من ناحية ثانية . كل ذلك سيؤدي بالثروة بين أيدي الرأسماليين ، وهكذا تنتزع الملكية بطريقة آلية من أيدي صغار الصناع والزراع والتجار والعمال ، وإذا ذلك تركز رؤوس الأموال في عدد جد يسير من الأفراد ويهوى الباقي إلى طبقة الصملمكة فيزداد عددها كثيراً ، حينئذ تقع الثورة النهائية التي لا يمكن تجنبها البتة . وليس لتحتقيق هذا المصير المرتقب — فيما يرى كارل ماركس — إلا شرط أساسي واحد هو أن طبقة العمال يجب أن تكون على أهبة تأمته للاستيلاء على السلطة .

ومن هذا يتبين أن كارل ماركس يدعو إلى إشعال نار النضال بين الطبقات ويحض العمان على الوقوف بالمرصاد للرأسماليين إلى أن تتاح لهم فرصة الانقضاض عليهم . ولا يخفى

(١) كارل ماركس هو الاشتراكي الألماني الأشهر، وولد في تريف في سنة ١٨١٨ وهو مؤلف الكتاب الثوري الأعظم "رأس المال" وقد ظهر في سنة ١٨٦٧ وهو أشد المؤلفين تحمساً لنظرية نضال الطبقات وإيجاد اتحاد دول للعمال ، توفي في سنة ١٨٨٣ .

ما في هذه الآراء النجدة من أخطار شنيعة ، أولها تمزيق وحدات الأمم وربط عناصر الشقاق بين صفوفها ودفع بعضها إلى تربص الدوائر ببعض الآخر ، ونحسب أننا — بأزاء هذا كله — لسنا في حاجة إلى التنبيه إلى أخطاء أولئك السطحيين أو المعرضين الذين يحاولون تقريب هذه المبادئ الوحشية من تعاليم الإسلام المنفصلة بالساحة والخيرية والتي نأسر اتباعها بأن لا يصدقوا على أحد ، بل بالأب لا يلتفتوا إلى ما عند الغير من ثروة إذ يقول القرآن : " ولا تمدن عينك إلى ما متنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبني " .

ومهما يكن من شيء ، فإن موضع الدهش في مذهب كارل ماركس هو أنه لا يرسم لنا صورة واضحة من جماعته الاشتراكية المقبلة ، وإنما هو يقتصر على ذكر جانب ضئيل من مميزاتها ، بل إنه أحياناً يقدم إلينا عنها فكرة نمطية شاحبة ولكنها حقيقية بدون ريب ، إذ يقول : " وعند ذلك لن تكون في الدول سلطة سياسية بمعنى الكلمة " . وحسبنا هذا التعبير من أكبر زعماء الاشتراكية في العصر الحديث لتبين القيمة الحقيقية لهذه الجماعات .

هناك مذهب ثالث من المذاهب الاشتراكية وهو الذي يتوسط في الأمر فيجمع بين الأسس الأخلاقية التي جعلها أنصار الاشتراكية الوهمية دعام مذهبهم وبين المبادئ الاقتصادية التي أقام كارل ماركس قواعد مذهبها عليها ، وتلك الاشتراكية الفرنسية التي بشر بها "جان جوريس" .

وأخيراً يوجد منها مذهب رابع يعتقد بعض الشيء وهو بوشيفية روسيا التي تتألف من مبادئ شيوعية وأخرى اشتراكية ماركسية . وقد ألبأها إلى هذا المزج ماعانته في حياتها التي تلت اعتناقها المبدأ الشيوعي كما أسلفنا .

يعتبر الباحث في أسس جميع هذه المذاهب على نقطة عامة توحد بينها توحيداً يلفت النظر ، فمن أهم هذه النقط وأجدرها بالعناية فكرة التطور الاجتماعي الإجباري الذي يجب أن يمر بعدة مراحل . ويدعو العلماء هذه الفكرة باسم التحديد الاجتماعي ، وقد لوحظت في مبادئ : سان سيمون ، وفورييه ، وپرردون ، ولكنها قد اتخذت لدى كارل ماركس صورة جلية وصارت نظرية ذات كيان متين ، وهي تعرف الآن باسم نظرية "المادية التاريخية" وبمجلها أن الأحداث الاقتصادية والظواهر الاجتماعية أي أن أساليب الإنتاج في الحياة المادية هي التي تحدد في العموم جميع الأنظمة الاجتماعية والسياسية والعقلية في حياة المجتمع ، فالرحى التي تدار بالأذرع مثلا هي التي تنشأ حولها جماعة ذات مولى سطلق التصرف ، والمطحن البخاري هو الذي يكون جماعة ذات رأس مال صناعي . ومن ثم لم يكن كل النشاط السياسي والقانوني والأخلاقي والديني والعقلي إلا بناء فكرياً أساسه الحقيقي هو النشاط الاقتصادي ، ومعنى هذا أن الحياة المتمايزة والروحية في كل جماعة هي انعكاس للحياة المادية .

ونحن لانحسب أننا في حاجة إلى أن العناصر الأولى لتتقل المنطقى تهتف بهذا هذه النظرية الخاطئة لسببين، أولهما: هو ذلك الأثر الجلى الذى تسأده الحياة الروحية فى الحياة الاقتصادية، وذلك الدور الهام الذى تلعبه العناصر النفسانية فى الحياة الاجتماعية والذى يتم انصاع البراهين على أن المجتمع هو عود روحى قد انتقلت حياته فى سلك من الشعور الوجدانى أكثر من أن يكون عصابة تأسست على دعائم الشركة المالية الخالصة، والسبب الثانى: هو أن العوامل الاقتصادية ليست مادية محضه إذ أن من أهمها الابتكار وهو عقل بحت والثقة وهى خلقية تية. وقصارى القول إن الحياة الاقتصادية إذا نفذت العناصر العقلية والخلقى أو استوت على زمامها هوت الى الحضيض .

ومن هذه النقط أيضا أن ذلك التطور الضرورى بتعطف الى وجوب هو الفوضى الحالية التى تسود الوظائف الاقتصادية المقعاة فى الظروف الراهنة تحت رحمة تصرفات الأفراد واستبدالها بنظام خير منها يحصر القوى الانتاجية ويربطها بالدولة ربنا يختلف مائة ورخاوة باختلاف الحاجة الملحة فى كلتا الحالتين .

ومن هذه النقط الأساسية كذلك ما تصرح به الاشتراكية من أنها لا تريد إلقاء الملكية الفردية، وإنما تريد تثبيتها على الدعامة الوحيدة التى تبدو لها عادلة، وهى دعامة العمل التى تضمن شرعية الاستحقاق وباسم هذه العدالة وحدها أعلنت الاشتراكية الحرب على النظام الحالى للملكية، لأنه - فيما ترى - نظام متعسف ما دام أنه يعتمد على تقسيم الجماعة الى طبقتين: أولهما تمتلك أدوات الانتاج وتحفظ لنفسها بدخل لم تسله بمجهودها، وإنما امتلاكه باستغلالها على ثمار مثقة غيرها، وثانيهما هى الطبقة النشيطة التى لا تملك إلا عملها. الذى يتسرب أكثر إنتاجه الى يدي رؤوس الأموال، وهذا هو بذاته معنى قول پرودون: "إن الملكية هى السرقة".

ومن أبعد وسائل المنكية عن العدالة وأشدّها لإدامة للظلم - فى نظر الاشتراكيين - هى وسيلة الميراث التى يطلقون عليها اسم الوسيلة الميكانيكية الشرعية التى تحقق دوام الظلم الأساسى الذى هو طابع المجتمع الحالى لأنه حتى لو كان منشا الملكية الحاضرة هو مجهود الأجداد - وهو زعم باطل تاريخيا - فانه يكون من الظلم أن يرث رجل نديجة نشاط أجداده، لأن هذا الوارث ينال بالميراث ثروة لا تتسم مع قيمته الشخصية أو كفايته الفردية، وفى هذا من توسيع الهوة بين الملكة والعمل ما فيه، فى حين أن العدل يقضى بتقاربهما، بل بتعاقبهما .

على أن فريقا من الاشتراكيين - لكى يرضى العاطفة الأبوية ويشجع العاملين من رؤساء الأسر على مواصلة النشاط - قد اعتدل نوعا ما، فأقر نظام ميراث الملاكيات الصغيرة على ألا يتعدى ذلك الدرجة المباشرة فى الخط المستقيم، وقد أحاط هذا التبول بتخفيف قاس

وهو فرض ضريبة خاصة على التركة تزيد ضخامتها بزيادة الملكية الموروثة ، ونحن لا يسمننا
حيال هذا إلا أن نوظف أولئك الذين يتخصصون بالاشتراكية على مبادئ الإسلام من مبادئهم ،
ونسائلهم عن مصدر تلك الأحكام الإسلامية الجوهرية وهي الميراث ثم نهمس في آذانهم
بهذه العبارة راجين أن يتدبروها كما ينبغي وهي إن النبي الجليل قد أخبر بأن أول ما سينتج
من مربيته هو الميراث. فهل رضون لأنفسكم أيها المتخصصون بالاشتراكية أن يكون على أيديكم
هذا الانحواء وأن يكون ذلك عن طريق الألب الخادعة البراقة ؟

ومن هذه النقط أيضا عناية الاشتراكية بالانتاج إلى حد جعله غاية الأولى التي ترجحها
أحيانا على البدائل نفسها ، فهي إذ تجابه المصانع الكبرى باسم المساواة لا تسمح بتفويتها
على أي حال ، وإنما هي على العكس تبذل جهودها في ردها وامتدادها ، وفي هذا يقول
كارل ماركس : " إن الاشتراكية هي فلسفة المتعبين " . وأصرح من هذه العبارة ما أعلته
زعيم الاشتراكية البلجيكية " فاندير " حين قال " أنه ليسينا قليلا أن يكون نظام الاشتراكية
في توزيع الثروات أكثر عدالة من النظام الحالي إنما أدى تطبيق نظامنا إلى رجعية أو إلى
توقف في امتداد النمو المتبعة " وهذا معناه في وضوح أنه إذا تعارض نمو الانتاج مع
النظام العادل ضحوا بالثاني في سبيل الأول من غير تردد ، وفي هذا ما فيه من تناقض
واضطراب .

نقاش ونقد :

من المآخذ التي يأخذها الناقدون على الاشتراكية أنها تحاول أن تضع في يد الدولة قوة
بأنفة حد النهاية عند ما تكلل إليها ملكية جميع أدوات العمل ونظام الثروة وطرائق توزيعها
وهم يصرحون بديا بأن هذه السلطة الواسعة لا يمكن انتفاء أخطارها إلا إذا تمتعت لدى
الناعمين بتنفيذ هذه الأنظمة فضائل أخلاقية مثالية ، وهذا النوع لا يكاد يعرف كثيرا لدى
رجال الحكم حتى الآن . وإلى جانب هذا الكمال الخلقى ينبغي أن يكون أولئك المنفذين قد
ظفروا بأوسع المعارف البشرية حتى يستطيعوا أن يعرفوا كفاءة كل فرد ومؤدلاته ومواهبه
وسبله ويمتدوا حاجاته ويكشفوا الوسائل الناجعة لإرضائها . وإذا فرض أن هذا النظام
قد حاد وأحتسى وروقب على خير ما يكون وأسندت مهمة حراسته والسهر عليه إلى جيش
من الموظفين المختصين ، فإنه ينبغي مع ذلك كله المدونات على الحرية الشخصية وتضييق
حدودها . وفرق ذلك فإن الناقدين يرون أن إنشاء دولة بالشؤون كلها بين يدي الحكومة
يؤدي إلى ضمير النشاط وتقدان ملكة الابتكار لدى الأفراد . وهذا تبع كارثة شديدة
الأثر ، وهذا التمسك على الحرية وانخفاض المستوى لاقتصادى إلى حد الإجداب .

ومن هذه المآخذ أيضا مارمت به الاشتراكية الأسرة التقليدية في الصميم حينما حاجت الميراث الذي هو أحد أسسها الجوهرية . ومنها كذلك أنها قد سادت سبها مسجومة إلى قلب الوطنية حين أعلنت عالميتها . ولا يخفى ما ينطوى عليه هذا المبدأ من خطورة تبدو جليا في إهمال مصالح الوطن ومنافعه عند ما ينجي الأمر بإعمالها من الرياضة الدولية .

وأخيرا إننا سنتعقب - في انتباه و يقظة وتحفظ - النتائج التي ستسفر عنها التجارب في الأمم التي سادت فيها الاشتراكية بيد هذه الحرب الأخيرة ، فذلك النتائج وحدها هي التي ستكون صاحبة انقoul الفصل في صلاحية هذه المذاهب أو فسادها ، وفي عدالة هذا النقد المتجه إليها أو تجنبه نليها . ومهما يكن من الأمر فإننا بحمد الأقدار كثيرا على أن الرأسمالية لم تحصل من الطغيان عندنا إلى ذلك الحد الرهيب الذي يرسم الاشتراكيون صورته في أوحاشتهم القائمة ، والذي من شأنه أن يلا نفوس بعض الطبقات - قدا على البعض الآخر ، ولا يشوتنا أن نسر إلى الداعين إلى الاشتراكية في هذه البلاد باسم العدالة أو باسم الإسلام أنهم جيدون عن الصواب بعد الظلام عن النور وأن نتصح لهم قبل أن يعرضوا للتحدث في أمر ما أن يتلبتوا منه ويحيطوا بعناصره وأسه حتى لا تكون أحاديثهم عنه أوحاما أو أحلاما .

الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

الحسن أن نعامل العدو والصديق بالحسنى ، وهل يأتي الشر من جبل عل الخير ،
أنت إن إلى الصديق جعلته عدوك ، وإن أحسنت إلى العدو جعلته صديقك .
الحيام

الرجوع الى الطبيعة وأثره في التهذيب العام للأستاذ عبد المنعم خلاف

سيداتي سادتي :

لقد بدت المسافة بين نفوسنا وبين الطبيعة التي منها مهدنا وإليها مرجعنا وفي أحضانها نشأنا ودرجنا .

وطالما نسينا أن نتفرغ لما بعض الوقت ونأنس بقربها ونتمتع بما شجوا وترقى منها مباشرة أذواق الأيمان الأصيل وديوس العلم الحق وفنون الشعر العميق وعظمت التجارب البالغة . لقد قنعنا بأن نزرعنا في انطالات خاطفة ومناسبات عابرة ، وأن ننظر إليها (محفوفة في علب) ومقشوة في لوحات ومجسوسة في ألناظ ، وأعملنا تنقيب حواسنا وأفكارنا وأيدينا في مشاهدنا ومسارحها ومعاهدنا . مع أن الله تبارك وتعالى لم يأت بنا إليها ولم يدخلنا إلى رحابها إلا لنزعم بأنفسنا وأفكارنا دائما إلى رحابها فنعلم آثار علمه وقدرته وبراعة صنعته فيها قبل أن يخرجنا منها وينقلنا الى عجائب عالم آخر ..

ومنذ أن هبنا منازلنا بستفنا وجدرائنا عن رؤية الآفاق المريضة والسعوات العجيبة ، والجبال الشامخة ، والبحار الرحيبة ، والصحارى الشاسعة ، والأضواء الطليقة ، والنظلمات المطبقة ، والبراري الجذبة ، والحقول الخصبية المرعة ، والنباتات الحاذية ، والأدطار الدافقة منذ ذلك كله أصبنا بضيق الأنفس وصدأ الحواس وجمود المشاعر وعمق الخيال وضالة الأجسام ونجمود القوى وعمود العزائم وضعف الاعتماد على النفس وفقد القدر اللازم من قوة الكفاح التي لا بد منها لمن يريد أن يعيش عزيزا محترم المحقوق ، وشذنا بأسباب السأم والملل والتشاؤم والسخط . وشعرنا بثقل وطأة الحياة على أكتفينا . وأرواحنا ، وضائق علينا الأرض بما رحبت . وود كثير من منا ان لم يخلتوا وتمنوا أن يرحلوا عن الحياة بالوسائل المشروعة وغير المشروعة .

وإنني أعتقد أن أكثر آلام النفوس والأجسام ، وأسباب الضيق والمرض ، منشؤها البعد عن الطبيعة وعدم الرجوع إليها بالجسم والروح في فترات طويلة .

وقد نسي سكان المدن أن أجدادهم الأقران لم يكن بينهم وبين الطبيعة هذه الحواجز الصناعية الكثيفة وأنهم كانوا يتقبلون فيها دائما ، لذلك كانوا أقوياء الأجسام طويلي الأعمار ، شجيمان القلوب مستقلى الإرادة رابطلى الجاش في مقابلة الأخطار مبارين على مشقات الحياة مع أنها كانت مشقات نكراء وعقبات عصيبة لا يكاد يقاس بها ما يلاقه نحن

الآن من صعب وشدائد . وقد تجاوزت الحياة الإنسانية بمراحلها جميعا إلى حياة صناعية بينها وبين الحياة الطبيعية حواجز وعوائق ، فقد صار الملبس معتادا لا يتفق مع قواعد الصحة ، وصار المسكن كذلك بعيدا في أكثر المدن عن الجوار النخالص الخالي من ركاب الدخان وغازات المجرى وعفونات الفضلات والزبالات ، وصار كل من الماء والكل والمشرب والمعتمد والمعبد والمتاح كذلك بعيدا عن البساطة التي توحىها الطبيعة ، وصار الناس يعقدون حياتهم ويركزون تفانيهم الصناعية يوما بعد يوم حتى استحالت إلى حياة كثيرة التكاليف تقيدهم الرقابة على الاعصاب مرهقة للنفوس بالمطالب الشافية الكثيرة شاغلة للأوقات بما لا طائل وراءه ولا نفع يرجى منه .

ويجمل لكثير من الناس أنهم كلما كثرت حياتهم تعقيدا وتلفيفا وبعدوا عن بساطة الطبيعة عظم حثلهم من الحضارة والانتساب إلى الحياة المدنية وزاد حثلهم من السعادة تبعاً لذلك ، وهذا لا شك خيال كاذب . فقد دلت التجارب على أن أكثر الناس حبا للبساطة في مرائق الحياة الكالية وأقربهم إلى الطبيعة هو أكثرهم نصيبا من السعادة النفسية والصحة الجسمية والألفة الفكرية والحضارة النفسية . لأنهم لم يبعدوا كثيرا عن الجوار الطبيعي الذي وجد فيه أجدادنا الأولون الذين ورثنا عنهم الحياة ولا يزال فينا كثير من سمات حياتهم ورواسب أمرجتهم ، ولا تزال مبادئ حياتنا في الطفولة تميل إلى طلائعهم وحرمتهم وحبهم للطبيعة وقربهم إلى حيوانها ونباتها .

وانكم لتجدون مصداق ذلك في حياة كثيرين من الحكماء والعلماء أو لكثير من الذين تحرروا من كثير من القيود الصناعية التي لا فائدة منها ورجعوا إلى مبادئ الحياة الطبيعية في كل شيء ما أمكنهم ذلك ، فوجدوا لهذا وسعادة آتروهما وفضلوهما على ما وجدوه لدى الناس من أسباب التعقيد .

واننا بالطبع لا ندعو إلى الشذوذ والخروج على النظم العامة التي ارتضتها الجماعة ، ولكننا ندعو إلى التخفيف من أحوال الحياة الصناعية كلما أمكن ذلك . وإلى العودة في فترات كثيرة إلى الطبيعة لتذكرك المبادئ الأولية للحياة فلا نساها ، ولنتمتع بلذة الحرية والاتساق من التيبود الكثيرة في المسكن والملبس والمأكل والمجلس والتقاليد . فنترك سكنى المنازل بعض الأحيان ونسكن الخيام والأخصاص والعراء إن أمكن ذلك في الحقول والصحارى وعلى شواطئ البحار والأنهار وعلى قمم الجبال وعلى ظهور السفن والمركبات مثلا . ونترك بعض الأحيان المأكولات المعقدة التي ترهق المعدة والأحشاء إلى المأكولات النظرية الساذجة التي لا تعدد في موادها ولا في كيفية طبخها . ونترك الملابس الضيقة التي تمنع الهواء والضوء عن أعضاء الجسم وتحرمه المناعة والمقاومة وحرية الحركة . ونترك كثيرا من تقاليد

الزينة والنظرية التي اتفق عليها الناس في حياة المدينة . حتى نألف حياة التجرد والخشونة ولا نفرح منها إذا اضطررنا إليها . وكثيرا ما يكون ذلك الاضطرار .

سيداتي سادتي :

إنكم لا شك تلاحظون أن فطرة الله التي فطر عليها الأطفال دائما تدفعهم إلى الطبيعة والبحث فيها والتعجب منها والسؤال عن سبب وجود كل شيء فيها وحدوث كل حادث ، وإلى تجربة كل شيء وفتح كل مغلق وركوب الأخطار بالرغم من تحذير الأمهات والآباء والمعلمين .

فالأطفال مدفوعون بفطرتهم إلى التنبس في كل شيء يصادفهم في هذه مدار العجيبة التي وجدوا أنفسهم بعد تيقظهم من ذهول الطفولة قد دخلوا إليها وعرفوا فيها الحياة من غير أن يعرفوا أسباب ذلك . فهم يجردون أنفسهم مضطرين في تلهف وشوق إلى السؤال عن كل شيء وسبب وجوده ونقصه وتكوينه وأسرار صنعه ونهايته ونجربته ومسيره . إلى آخر تلك الأسئلة التي بعضها يعرج الآباء والمعلمين لما فيه من الدقة والصرامة والإلزام النافذ لمواقع السؤال مما لا يمكن أن يتناسب مع أعمارهم في هذا الدور . كأن هذا الطفل كأن غريب عن هذه الطبيعة . نعم هو غريب وليس غريبا . هو ليس غريبا بعصمه وتكوينه المأدب عن هذه الطبيعة . ولكنه غريب بشكره الذي يلوح لنا أنه شأن ليس من شؤون هذا العالم المأدب والحيواني المحدود .

فترام هذا الطفل الأنساني الصغير بالطبيعة والتعجب من كل شيء فيها والاتصال بها اتصالا وثيقا هو مفتاح الصلح والحق والإيمان العميق . ولكن مع الأسف كثيرا ما يتخضم هذا المفتاح أو يصدأ يد الطفل الصغير لأنه لم يجد مدرسين لاستعماله . ولوليت رغبات الطفل دائما في الأجوبة على أسئلته ولم يضق الآباء والمعلمون ذرعا بها وساروا معه إلى المحتويات التي يجب أن يعلمها ولم يبهوه عن كثرة السؤال وحاولوا دائما أن يشجوه على اختبار كل شيء والسؤال عنه ، إذ لنا بر هذا الطفل على حبه الطبيعة والمضى في الاهتمام بها طول حياته الآتية والأنس بالقرب منها والرجوع إلى استفتائها ولم تقطع الصلة بينه وبينها كما يحدث ذلك دائما . وإذا فقد هذا الطفل الناس ووضع أيديهم على مجهولات الكون أو ذكركم من نسيانهم إياها . وجعاهم يواحدون جهادهم في كشفها . ولكن أكثر الآباء والمعلمين يفرون من أسئلة الطفولة بلجهلهم الجواب أو لضيق صدرهم عن سماع الأسئلة . وفي هذا القرار أول معول ملدم حب الاستطلاع في نفس الطفل - (مع أن حب الاستطلاع أكبر سلوى وصلاح له في رحلته إلى الحياة) . وفيه أيضا أول نزول لثقتة بالعقل البشري . وأول باءت

إيه على الثغلة والاشغال وطمس قوة الملاحظة. وأول حامل له على المرور على مشاهدة الحياة مغمض العينين والنكر، وأول مسبب لانحراف قلبه عن الايمان بالله عن طريق الفكر المستنير والعلم الثابت الغزير .

فأحذروا سيداتي وسادتي أن تحولوا بين نفوسكم وأطفالكم وبين الطبيعة . بل القوا بأنفسكم وأطفالكم فترات طويلة في أحضانها في الربيع والخريف والشتاء حتى تتجدد حياتكم وأذواقكم بتجدد النصول .

ونبلوا أفكاركم دائماً في مسارحها ومشاهدتها العجيبة وحيوانها المتنوع ونباتها المتفرع . واسلأوا أوعيتكم من كموزها التي لا تنفد فإنها كنوز الصحة والقوة والجمال ووردة الشعور وسلامة الإدراك وعمق الإيمان .

ألقوا بأطفالكم دائماً إلى رحابها فإنها مدرستهم وأستاذتهم وبعنة الإيمان والخشية والحب لربهم في قلوبهم ، ووجهوا أنظارهم دائماً إلى الفروق الدقيقة بين أنواع حيوانها ونباتها ، وشيئوهم على جمع ما يحبون جمعه من أعاجيبها فإن ذلك هو اللب المفيد الشائق المهمي، لمستقبل سعيد . وعلموهم حب الحيوان ورحمته واعتقدوا صداقة وثيقة بينهم وبينه حتى يشبوا وينشأوا على حبه ورحمته وعدم إرهابه وتعذيبه . وعلموهم السباحة وفلاحة الأرض والرحلة إلى البحارى وتساق الأشجار والللال والجبال وعلنو أبصارهم بالسماء ونجومها ومشاهدتها العجيبة حتى توسعوا خيالهم وتثروا الدهشة من عجائب الدنيا في نفوسهم .

إنكم إن فعلتم ذلك وثابرتم عليه نخرج لكم جيل قوى الجسم سليم الطبع مزم من التلب مثقف الفكر يحب العلم ويهتر للشمع والفن ويخلص العبادة لله الخالق البارئ المصور ويصلى له صلاة دأمة بالفكر والقلب قائلا : (إن في خالق السموات والأرض واخلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فتنا آذاب النار) .

عبد المنعم خلاف

مجانية التعليم وعلى أى أساس تمنح ؟ للاستاذ محمود عظيم

للمجانية في وزارة المعارف قصة تتكرر كل عام دراسي ، تبسدي بإبتدائه وقد ينتهي العام ولا تنتهي .

ولعل هذا الوقت أنسب الأوقات لتناول هذا الموضوع ، فنحن في مستهل العام الدراسي وهو بدء موسم المجانية ، فضلا عن أن هذا الموضوع هو اليوم موضع بحث المختصين ، بل إن وزارة المعارف قد باتت بالفعل في بعض نواحيه باصدار تشريع جديد .

ويخيل لنا أن وزارة المعارف قد بدأت تسير على الدرب بعد أن اختلطت عليها السبل وبعد أن طال بها المطاف .

ولسنا نقصد بالتعليم المرحلة الأولى التي نص عليها الدستور ، وفرضها فرضا على المتسربين .
جيمنا لا فرق بين ذكورهم وإناثهم ، فإن تلك المرحلة - سواء أسمينا مدارسها ابتدائية أم أولية - لا موضع للجدل في وجوب مجانية التعليم فيها ، فإنها من واجب الحكومة قبل أن تكون من حق الأمة وهي من جانب الأولى بالنسبة للثانية بتناوبه شق الدرع وإقامة الجسور وحفظ الأمن إن لم نذهب الى أبعد من ذلك فترغم أنها ألزم للأمة من تيسير الماء وتوفير الغذاء ، وعلى هذا فكل كلام يثار حول موضوع المجانية في تلك المرحلة من التعليم يعتبر من لئو القبول وفضول الكلام .

وإنما نفي المجانية بالنسبة لما يلي المرحلة الأولى من مراحل التعليم فيما بعد هذه المرحلة من مراحل التعليم هل يكون التعليم كله بالمجان ، أم تتقاضى الدولة عليه أجرا ، أم يجب أن يجمع بين هذا وذاك ؟ وإذا قلنا بالرأى الأخير فعلى أى أساس يكون الإعفاء من نفقات التعليم ؟ أما أن يكون التعليم كله فيما بعد مرحلة الإلزام بالمجان فهذا شطط لا يتحملاه دولة محدودة الموارد كعصرنا ، ولئن صغ أن بعض الدول تأخذ به فعلمنا ألا ننسى أننا في بلد حديث العهد بالنهضة ، وأما لم نستكمل أسباب نمو الأمة بعد ، وتقليبا أن نتظروا سنين وسنين حتى نستكمل تلك الأسباب ، فكل كلام يقال في هذا السبيل سابق لأوانه ، وإنما هو من قبيل الطفرة التي تدفع إليها الحماسة ثم لا يؤمن معها الغنار .

وأقل ما يقال في هذا الصدد أن تريت حتى لا يكون بيننا من يحمل خاتماً أو يصمم بأصبع ثم ننظر في تعميم المجانية بالنسبة للتعليم الثانوي أو المتوسط .

وأما أن يكون التعليم في هذه المرحلة كله بالمصرفيات فهذا شطط أيضاً لأن فيد حرماناً لمن تنهض بهم مواهبهم وينعد بهم فقرهم عن مواصلة التعليم ، ولأن فيه حرمان الدولة نفسها من الانتفاع بمواهب هؤلاء ، ومن المعلوم أن التلميذ في تلك المرحلة من التعليم لا يدفع من المصرفيات ما يتكافأ مع نفقات تعليمه وإنما يدفع من ذلك شطراً وتدفع الدولة من جانبها شطراً آخر ، وقد يكون ما يدفعه حو أقل الشطرين ، ويكون الوضع على هذا الاعتبار أن الدولة تعاقب التلميذ لمجرد فقره بالحرمان لا من العلم وحده بل من العلم والمال معاً ، وتثيب الغنى لمجرد غناه لا بالعلم وحده بل بكليهما ، وهذا مالا يستسيغه منطق الديمقراطية الحديثة ولا تقره مبادئ العدالة الاجتماعية بحال .

إذن لا مندوحة في مرحلة التعليم المتوسط ومرحلة التعليم العالي أيضاً أن نجتمع بين المصرفيات الكاملة والأعفاء الكامل وأن نتوسط بين هذين في بعض الأحيان .

ولكن على أي أساس يكون الإعفاء جزئياً أو كاملاً ؟ نستطيع أن نجعل تلك الأسس في كلمتين لا ثالث لهما ، هما الفقر والتنوع .

أما الآخرون بنظرية الفقر فيتذرعون بمبدأ تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، ويقولون : إن الغنى يستطيع أن يشتري العلم بالمال بخلاف التلميذ فإن فرض المصرفيات عليه معناه الحرمان من التعليم ، وذلك معناه أن نجتمع عليه بين علقى الفقر والجحيل ، وما أقسى إحدى حاتين العلتين ، فما بالك بهما مجتمعتين . وعلى ذلك درجت وزارة المعارف ردحا طويلاً من الزمن ، فكانت لاتعن بالأعفاء من المصرفيات إلا حين يثبت فقر الطالب بشهادة الشهود وعرض كشف الممتلكات وذكر الكوارث المثابة وما إلى ذلك مما لا يحتاج إلى تفصيل .

والواقع أن الأخذ بنظرية الفقر عاطفي أكثر منه أي شيء آخر ، وإن شئت فقل : إنه من باب التموه الذي يراد به في الغالب إرضاء السواد وكسب الجماهير .

والواقع أيضاً أن المجانية أخذاً بهذه النظرية قد فشلت في تأدية رسالتها للأبواب التالية .

أولاً - دلت التجارب وأثبتت الإحصاءات أن غالبية المتحمسين بمجانية التمرهم من أدياء الفقر لا من الفقراء حقاً ، وفي الحق أن المدارس كانت تتأني في فتح كل عام دراستها لطيفاً من طلبات المجانية يكاد يستوعب كل المجالات الخالية بها أو يربو عليها ، وكل هذه

الطلبات تفيض بشكوى الزمان ، وتتفنن في خالق الكوارث وتتمنص فيها الموارد إلى حد العدم ، وفي هذه الحالة كان من المسير التمييز بين الغنى والفقير أو بين الفقر الحقيقي والفقر المصطنع .

ونعل من الصراحة أن نذكر أن كثيرا من الفقراء الحقيقيين كانوا يستقون في الميدان ولا يبيدون من يأخذ بأيديهم بخلاف أدعياء الفقر فكثيرا ما كان يجرّد هؤلاء من الأقارب والأصهار فيانق من الشغواء .

ثانيا — دلت التجارب وأثبتت الإحصاءات أن كثيرا من يتمتعون بمجانبة الفقر تتعد بهم مواهبهم لا مواردهم عن مواصلة التعليم ، ولسنا ننكر أن الفقر قد يقترن بالذكاء الخارق ولكنا بجانب ذلك لا ننكر أنه قد يقترن أو كثيرا ما يقترن بالفقر وكلال الذهن واعتلال الصحة إن لم يكن ذلك بحكم الطبيعة فبحكم البيئة وسوء التربية المنزلية

وإذن فليس من المصلحة في كل الأحيان أن نناق مدفوعين بعواطفنا إلى فتح أبواب التعليم المتوسط أو العالي على مصاريحها للفقراء ، بل كثيرا ما يكون الأجدى هؤلاء أنفسهم وللدولة بوجه عام أن يتصرفوا عن التعليم إلى سواد مما يصلحون له من أبواب النشاط التي تتطلبها شؤون الحياة .

ثالثا — لم يكن الأخذ بنظرية مجانبة الفقر من التربية الخلقية في شيء ، ولقد دلت التجارب أيضا أن المتمتعين بهذه المجانبة كانوا يشعرون في قرارة نفوسهم أنهم دون سواهم من سائر التلاميذ ، وهم كان من المنجل — في عرف التلاميذ على الأقل — أن تعلق الجدول على جدران الفصول مؤشرا أمام أسمائهم بما يفيد فقر آبائهم حتى لقد حدا ذلك بكثير من المرين إلى تحاشي هذه الطريقة تلافيا لذلك العار .

بقيت نظرية التفوق ، وهي في نظري أقوم أساسا المجانبة وأوقاهما بالفرض وأخفهما أضرارا إن كان ثمة أضرار ، والواقع أنها ربما لا تسلم من الاعتراض ، ولكنني أومن دائما بقول القائل: ليس الحازم من يعرف الخير من الشر ولكن الحازم من يعرف أحوال الضررين .

وإذا أخذنا بهذه النظرية فإن مجموعة درجات التلميذ وحدها هي وسياته وشفيحه في المجانبة إلى وزارة المعارف ، وللوزارة أن تحدد تلك المجموعات بمقدار ما تسمح به نسب المجانبة التي رصدتها لهذا الغرض ، ولها أن تقسمها إلى مجانبات كواحل أو إلى أُنصاف أو أرباع كما تشاء على شرط أن يكون الحكم في ذلك كله هو المجموعة ، والمجموعة وحدها بصرف النظر عن أي اعتبار آخر .

ولست أبيع في هذه الحالة استثناء واحدا من تلك القاعدة ، ولست أكثر في الوقت نفسه أن ثمة حالات قد توسع هذا الاستثناء ، ولكن الأخذ باستثناء واحد في هذا السبيل كثيرا ما يجر إلى مشاكل لا يعلم مداها إلا الله ، ولا سيما في عصر الديمقراطية الذي تمتد فيه الأحزاب وتصاب البلدان بجمي الشفاعات .

وفي الخلق أننا لو أخذنا بهذه النظرية — أعني نظرية التفوق — تجنبنا الأضرار التي معنا إليها ، وليس تجنبها بالشيء اليسير ، وحسبنا أننا بذلك نخفف بل نقطع دابر الضغط الذي يقع في بدء كل عام دراسي على أبواب وزارة المعارف وأبواب المدارس فيكاد يسأل جركتها شطرا من العام ليس بقليل .

ولو أثرنا جانب الصراحة أكثر مما تقدم لقلنا : إننا بهذا الصنيع نجنب البلاد خطرا كبيرا هو إفساد الضمير فيما يتعلق بطائفة من أولياء الأمور وطائفة أخرى من الموظفين .

وفضلا عما تقدم نستطيع إذا أخذنا بنظرية التفوق أن نتمق الخريجين التاليين .

أولاً — ضمان صرف المال الذي رصد للجانية في وجهه الصحيح فإن المتعدين بهما على هذا الوضع هم خلاصة التلاميذ موهبة واستعدادا ، وهؤلاء الخلاصة هم قبل غيرهم حدة الأمة وعنادها في المستقبل وعلى أكتافهم تقوم النهضة وبهم تناط الآمال .

ولقائل أن يقول : ما حكمة منح القادر المتفوق تلك المنحة ؟ ونحن نجيب أن أقل ما فيها اعتبارا بمثابة جائزة له على تفوقه ، على أن الدولة إنما تربي هؤلاء المتأخرين لحسابها أكثر مما تربيهم لحساب أنفسهم فنحقوقهم أن تتحمل الدولة نفقاتهم ، فضلا عن أننا لو قلنا بجزئنا القادر المتفوق هذا الخلق أعدنا إلى مشكلة تمييز الغني من الفقير من الدولة والخطر بمكان .

ثانياً — فتح مجال المنافسة أمام التلاميذ وحفزهم إلى العمل ابتغاء هذا الكسب المادة وقد يكون شعور التلاميذ بقيمة هذا الكسب في ذاته محدودا لأنهم لا يمانون من أمور أنفسهم المادية كثيرا ولكنهم في الوقت نفسه حراس على مصلحة أولياء أمورهم فضلا عن أن يمانوا بهذا الكسب المادي كسبا آخر أدبيا لا يستهان به ، ذلك أن المجانية — على هذا الوضع — ستتيح شرنا تطسح إليه النفوس لاوصمة تتطامن من أجابا الروس .

وقبل أن نختم هذا المقال نرى وجوب الإشارة إلى أمرين جديرين بالاعتبار .

الأول — أننا ما دمنا أخذنا بنظرية التفوق في منح المجانية فعلى ذلك أننا سنقتصر تعليم من تعتمد بهم مواهبهم على طائفة الموسرين الذين يستطيعون دون غيرهم الاضطلاع بعبد

المعروفات، وفي هذه الحالة نرى وجوب رفع تلك المعروضات بحيث تتكافأ مع نفقات التلميذ حتى لا تقع في المحذور الذي سبقت الإشارة إليه .

الثاني - أننا ما دمنا أخذنا بتلك النظرية فمن الواجب توخي العدالة والمساواة في الامتحان بقدر الامكان، وهذا يقضى بالناء نظام المناطق - في الامتحان على الأقل - فان الامتحانات تتفاوت صعوبة ومهولة بتفاوت أذواق المتحدين في تلك المناطق والمشاهد أننا نجد مثلاً مجموعة الـ ٦٠٪ / أمراً عادياً يظفر به التلميذ المتوسط في منطقة على حين نجد تلك المجموعة نفسها عميرة المال على التلميذ المناز في منطقة أخرى، وليس منشا ذلك التفاوت في الاستعداد والتحصيل بل منشؤه تفاوت الأذواق واختلاف التقدير، على أننا جزئياً نظام المناطق في مصر فلم نجد في طبيعتها ما يقضى بتفاوت جوهري في نتائج التلاميذ، وهدنه نتائجها وامتحاناتها أمامنا إنما تختلف في الشكل دون الموضوع .

محمود غنيم
مدير قسم المباريات الأدبية
بوزارة المعارف

الجريمة والزكاة

للأنسة منور حافظ

الجرائم على اختلاف أنواعها مذمومة مردولة لأنها اعتداء صارخ على حرمة المجتمع لا يبرره عرف ولا يقره قانون ولا يرضى به إلا كل خانع مستذل حاقد على الإنسانية جمعاء .

والجريمة في مبنائها كلمة "بها الأسماع وترتعبد من ذكرها القلوب لأنها تصور في ذهن الإنسان معنى من معاني الوحشية في أبشع صورها وأبعد مداها .

لا مشاحة في أن مرتكب الجريمة أيا كانت ثقافته خارج على القانون مارق منه سواء أ كان القانون وضعيا أم سماويا .

ولاشك أن مرتكب الجريمة إما أن يكون فاقد الوعي أو مريض النفس سقيم الوجدان، وكيف لا يكون كذلك وهو يتقدم على سرقة مال غيره أو حتك عرضه أو يقتل نفسا حرم الله قتلها أو يزور أو يرتشى .

والجرائم مهما كان نوعها حتمت دفين كامن في نفس مرتكبها . ولو قشنا بين جدران السجون وتفحصنا أخبار نزلاتها ودوافع ارتكاب جرائمهم لظهر لنا بأقوى دليل وأسطح برهان أن الجرائم سواء كانت خلقية أم غير خلقية خاضعة لعامل واحد هو الفقر . ولست أقصد بالفقر قلة المال . ولكنني أقصد الفقر في كل شيء . في الأخلاق . في الضمير . في الوازع الديني . ذلك لأن الجرائم يشترك في الوقوع فيها العلماء والجهلاء والفقراء والأغنياء على حد سواء . وعلى هذا فلا دخل للعلم أو الجهل ولا للفقر أو الغنى بل هي أمراض نفسانية تصيب الجاهل والمتعلم والغنى والفقر .

ولست أرمي من وراء ذلك أن العلم لا يفيد في دفع الجرائم والاقبال منها . ولكنني أقصد أن الكل يقع فيها ، ولكن مما لاشك فيه أن الجهلاء أكثر وقوعا واقترافا للجرائم من المتعلمين . لأن الجهل والفقر عاملان متلازمان من عوامل الاثثار للوقوع في الجرائم خلقية كانت أم غير خلقية . ذلك لأن الفقراء يصدقون على الأغنياء ويحسدونهم على ما أصابوا من رشد العيش وهناء الحال . ويمنون بخدع الأنف أن يصيبهم ما أصابهم . ولو شعر الفقراء بعطف الأغنياء عليهم لارعوى كل فقير . ولما أئدم على ارتكاب الجريمة . وكيف يقدم عليها وهو يشعر بعطف الغنى وإحسانه وبره . وتلك كانت حكمة الإسلام في فرض الزكاة ، فاللئس ما سرق إلا من أجل المال . والقاتل ما قتل إلا من أجل المال . والمرأة ما اضطرت إلى بيع عرضها في سوق الدتارة إلا من أجل المال . إذا فالمال هو أس الجرائم .

وليت شعري ماذا يقول الفرنسيون حينما تقع الجريمة فتش عن المرأة ؟ ؟ إذا ابتهم قالوا فتش عن المال .

بذلو أخرج الغني زكاة ما عنده من مال ما نزل القاتل ولا سرق السارق ولا سقطت المرأة ولقلت الجرائم ولو نسج على متواله كل موسر نائل نقضوا على جيش البعثة المرمم ، ولكن سادتنا الأغنياء يعيشون في قصبهم العاجية ولياليهم الحراء بينما يعيش الفقراء في أكواخ سداها الجهول ولحمتها الفقر والمرض .

ونحن في مستهل عهد جديد وكل الأمم قد شمعت عن سواعد جددها لتواجه مشكلاتها بعد الحرب . وقد تبنت بأقوى دليل أن الحكومات وحدها لا تكفي لدفع غائلة الجوع والعري والمرض ما لم يمد إليها المحسنون والأغنياء الموسرون يد المساعدة . وفي كثير من البلدان الأجنبية تقوم جمعيات كثيرة يمسكها بحكماتها بالإشراف على شؤون الحياة الاجتماعية لهذا تمت الحياة هناك وازدهرت ، ذلك لأنهم عرفوا أن عجلة الزمان تدور بأسرع دورانها ، ونحن ننظر إليهم ومنتدح أعمالهم ولا تقدم على محاكمتهم إلا في النذر اليسير . غير أنني لا أنكر بحال أن هناك جمعية أو جمعيتان قد أدتا بعض ما عليهما قدر طاقتهما وفوق طاقتهما الكثير من الأعمال . ولكن جمعيتان أو ثلاثا أو أربعا لا تكفي بحال من الأحوال . ومن الذي يقول أن جمعية الهلال الأحمر أو مبرة محمد علي تكفيان لدفع النقر عن أمة تعددها يقرب من العشرين مليوناً . لقد قامت هاتان الجمعيتان بما حوفوق طاقتهما وكان لاشترك بعض سيداتنا النضليات جهدا مشكورا غير منكور . وطالما كتب الكتاب للأغنياء حرسدين وخطب لهم الخطباء واعظين وناصحين . ولكنهم وضعوا أسابهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأسرروا واستكبروا استكبارا .

لهذا لم يبق إلا أن تسن الحكومة قانون الزكاة وتفرضه فرضا وإجبارا ، وإلى هذا تندسبقتنا معظم الدول الأجنبية .

وقد يقول قائل إن فرض الزكاة إجبارا فيه معنى من معاني الاستراكية . وقد فاته أن الدين الإسلامي يحض على ذلك ليشرك النقر في أموال الأغنياء رحمة بهم وشفقة عليهم . "والدين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم"

وليت شعري أي عين يبجل بها أن تستبقي في عاجرها قطرة من الدمع فلا ترتبها أمام منظر البؤساء والفقراء وهم يزرعون الطرقات جيئة وذهابا يبحثون عن لقمة عيش يسدين بها رمةهم أو مزقة من قماش يسترهم بها عورتهم بينما ينثر الأغنياء الذهب على الغواني والقناني وعلى كليات لا ضرورة لها ولا لزوم .

وأي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة من الزمان ولا يطير جزعا ويدور يرى أخوه في الإنسانية عارى الجسد ساوى الرماض .

هذا السلوك المهذب له أثره كذلك في الأبناء فبشبون عليه ويخفى من محيطنا هذه اللذة الحيوانية التي تكرس لها جهودنا ، والتي أصبحت غايتنا توجه أعمالنا وسلوكنا .
لقد فقدنا البطولة في ميادين الفتح والغزو والمسال والعلم فاستعضنا عنها بالبطولة في هذا الميدان وأهزنا به من ميدان !

وزاحية أخرى لها خطرهما ولا نكاد ننتسمها في جوانبنا ، تلك هي رقة المواطنين أو سمو الوجدان ، فالحب معناه الشهوة والصدقة لا تكون إلا المنفعة ، والوفاء لغاية ، ومواقف اللقاء والودائع جامدة ، والاتصال بين الزوجين المعرفين لا تنبض بالحركة والحزن ، ومحبة الوالدين واهنة ومعاملة الخدم قاسية .
قبلاً دواعي هذه الموجة الزاحفة .

إذا كانت أخلاقنا عاداتنا فدواعي هذه المادية أننا لم نعد منذ الصغر ولم نشأ في جو مشع ببراء الروح فلم نذق أو نشاهد الحب الخالص والصدقة السامية والوفاء المزهو والتعبير عن خلجات النفوس وحرارة الأبناء تعبيرا صادقا ليس فيه رياء أو تصنع ، والاختد بيد الضعيف والبأس والمحروم .

فأحرى الآباء والمعلمين والكتاب أن يكونوا المثل الأعلى والأسوة الحسنة فيما يسلكون أو يتبعون أو يكتبون .

وأن يهد الآباء الطريق لاستقلال أبنائهم الكبار ونهوضهم بالمسؤولية بأن يجعلوا لكل حجرة خاصة أو مكتبا خاصا ، وأن يعزذوا إلى العناية بمساعدة أمنها في الطوبى والكنى والفصل والاتفاق على المنزل ، وإلى القنى بشراء بعض ما يلزم البيت وإصلاح ما فسد من أدواته وبهذا يعاملون على نظامهم النفساني ، وأن يمنحهم الحرية — حرية التفكير والتصرف والاتجاه والسلوك في حدود السلطة الأبوية التي أشرنا إليها فإني أذهب مذنب دؤلا للمربين الحديثين الذين يتزعون هذا المتزع ويدافعون عنه في حدود الممكن لتقوية الشخصية والإفادة من التجارب .

وإذا تربأ الزواج للننى فعلى الآباء أن يعاملوا على إقامة العروس في مسكن مستقل حتى لا ترى هذه الدداوات والقلائل والطلاق وبعض الزوج المحويها وتحريرتض زوجها عليهما فالزوج بفريتها تعمل على السيطرة على بيت زوجها والأم ترى في التزل عن سيادتها خدشا لكرامتها ، وتعدبا على حقوقها مما يؤدي إلى إتساع ثقمة الخلاف واستحكام العدا .

محمد مصطفى عطا

أستاذ التربية وعلم النفس في بركة

دعم الخلق في الأسرة

للاستاذ محمد مصطفى عطا

قد يكون من العبث أن نأخذ في الحديث عن دعم الخلق في الأسرة قبل أن نبيّن لها عوامل الاستقرار والتطمين، وذلك بأن نحيا حياة تمكننا من العيش والإحساس بالإنسانية. ولست أدري كيف يشيع الأمن والاستقرار في أسرة يعولها رب يظل يكبح ويحاشد ولا يظفر إلا بما يمسك لرمق ويقم الأود ولكن أنى له بالمسكن؟ وأنى له بالكساء؟ وأنى له بتعليم أبنائه والإنفاق عليهم وأنى له بتوفير الصحة لهم؟ وأنى... وأنى... مما يحصله يمش عيشة الإنسان الذي يحس ويشعر ويرى ويسمع ويعيش ويأمل، إنه ليحس أنه مهضوم الخلق مهضوم الجناح، إذ يرى إنسانا في الدولة يتقاضى راتبا يبلغ المائتين من الجنيهات يعيش عيشة البلخ والتنم وحوالا يتجاوز راتبه. ما تى قرش، فرق شامع بين بضم قروش وبين عشرات الجنيهات !!

أظن أن هذه الحال لا تؤدي الى استقرار بل تطبع هذه الأسرة بطابع التمرد والثورة النفسية ويحجم عليها التثاؤم والسيخط على المجتمع، ومن ثم يبعث أفرادها في الأرض فسادا يرتكبون الجرائم ويتروذون دعائم المجتمع الذي يعمد إلى تهذيبهم وإصلاحهم ومطاردتهم من غير أن يبيح أحوالهم ومصادر شربهم وأنامهم.

وإنى هنا لا أزيد إلا اشتعلا والثورة اشتدادا ولكن أدعو الى اناعة الفتنة والقضاء على جراثيمها وأصونها بتحميد الملكية الزراعية وفرض الضرائب التصاعدية على ثروات الأغنياء وهذه التدخل الكبير من أرباب المهن الحرة، وأداء الزكاة التي هي حق للأسفل والمحروم، ورفع الضريبة الجمركية على الواردات الأجنبية من الكماليات وفرض الضرائب على التركات الكبيرة، وإغناء صغار الملاك وذوى الدخل الصغير من الضرائب، وصرف الملاوات الاجتماعية لدى الرائد والولدبن والثلاثة، وإصدار القوانين لتنظيم العلاقة بين المالك والمستاجر والأجير، وبين العامل وصاحب العمل وتشييد المؤسسات الاجتماعية والتدجية لمحاربة المرض والفقير والجهل، وأخذ الدولة بأسباب العمالة وحماية المصنوعات الوطنية وتسجيلها، وقيام الأندية الاجتماعية والدينية ببذل جهودها وحشد شبابها لتخفيف من هذه العقابيل والأمراض.

وإنما لنحجي هذه الحرب الحاضرة التي أيقظت الرحمة في نفوس القادة والزعماء، فكان مشروع بيغردج في إنجلترا ومشروعات أخرى ظهرت في أمريكا كالج.ج. في كل بلد من بلاد العالم المتمددين للقضاء على هذه الأمراض الثلاثة، ونرجو أن يكون لهذه الدعوات عدى في بلاد الشرق الموبوءة بهذه الأوبئة الفتاكة.

ومما يوقظ الفتنة في الأسرة تعدد الزوجات وبخاصة في الأوساط الفقيرة ، فكل زوجة تعمل على الكيد للأخرى والوقعة بها وإحداث الشغب في المنزل مما يجعل الزوج على القرار منه إلى المقهى أو دور اللهيو والحللاء ، ثم يتجاوز الأمر ذلك إلى العداوات والحصومات التي تشب بين أهلهم وأبنائهم وإيجاد التفرقة والسخام والاحن بين العشائر والأسر مما يهدد الأمن وينغص الحياة الزوجية .

وإذا أمعنا النظر في الدين الإسلامي وجدناه يقف من هذه المسألة موقف العدل وبمد النظر، وإن كنا أسأنا تأويل أحكامه وتفسيرها وجعلنا خصوصيات النبي عليه السلام عمادا نعلم عليه وأصلا نستمد منه ، فقول الله تعالى بعد إباحة العدد "فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة" ، وضع للأمر في نصابها ، فكيف يستطيع الإنسان العدل المطلق والحكم التزيه مع قيام الكيد والدمس وسيطرة المشاعر الإنسانية ، بل إن آية الزواج لتشير إلى هذا تلميحا أبلغ من التصريح في قوله تعالى "ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" .

أما الإباحة فلا بد منها لأن هناك حالات لا يجدي فيها قيام الزوجية كشدة المرض مدة طويلة والعقم والالتواء الخلقى وعدم الانسجام .

وأعتقد بأن المرجح الأول لشر الطلاق هو عدم تمسكنا بديننا الحنيف ورؤية الفتاة قبل العقد مع أنه يمكننا التنبؤ على هذه الصعوبة بتهيئة الفرض لتمكين الشاب من رؤية الفتاة والتحدث إليها عن طريق تراور الأسر وأظن أن هذا طريق لا غبار عليه ويتفق وعادات المحافظين ، وإبه إيشجع الفتيان على الزواج المبكر ويمد من كثرة الطلاق الذي ينشأ عن جهول كل من الزوجين بالآخر وعدم تألفهما وانسجامهما "والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف" .

والغريب أن علم النفس الحديث يوجب هذا التعارف قبل الزواج ويحثه ، استمع إلى قول الأستاذ ماندر في هذا الصدد "يجب ألا تباع غرائر الزواج غايتها العملية حتى يكمل عمل المغازلة أى حتى تتجيج أعمال التردد في أن يؤثر في الجانب الآخر لحننة متعادلة وحاسة متكافئة ولا يكفى لذلك مجرد الإذعان ، وكل تراوج لا تسبقه مغازلة فعالة يتناس مع الطبيعة ويعجز حتما عن إشباع الرغبة الجنسية بل وقد يؤدي إلى الشفور .

وهناك أمر آخر يجب أن يلتفت إليه الآباء حتى لا يوقعوا الخلاف والحصومات بين أبنائهم وذلك بعدم التفرقة بينهم وإيثار أحد على آخر أو حتى على فتاة في الملبس وإنما كل المعروفات والعطف فكثر العقد النفسية تنشأ عن هذه التفرقة .

وأن يجعلوا منازلهم سكا لنفوس أبناءهم بتهيئة وسائل التسلية البريئة من اللعب المختلفة كالنرد والشطرنج والكتب الملائمة لأسنانهم وميولهم وغير المقررة في مدارسهم حتى لا ينزفوا منها إلى مصاحبة رفاق السوء أو سلوك السبل الملتوية .

وأن يفرقوا بين الذكور والإناث في المضاجع ، وبينهم وبين آبائهم وإن كان الأخيرون صغارا حتى لا يشربوا فيهم تلك الغريزة الموحجة — الغريزة الجنسية — قبل نضجها وأن تكون عين الزوجين ساهرة على الخدم إذ كل هؤلاء الآن من الطيمات الدون التي لم تردعها تربية ولا دين ؛ فكثيرا ما يتهزون الغرض ويخلدون إلى الصغار أو المراهقين ليشبعوا غرائزهم الجنسية في غير تورع أو حياء .

وإني لأرجح أكثر الفساد الخلقى في الأمر إلى هذه الأنواع الحبيثة التي تكون عوامل هدامة في كيانها ، وما دامت هذه المشكلة لم تحل بعد فلنراقبهم جيدا ولا ندع لهم أية فرصة ليلجوا فيها إلى الصغار أو المراهقين وأن ندقق في اختياريهم وإن هزلنا أجورهم فالحساسة المادية ضائلة إذا وازناها بالحساسة الروحية .

وأن تراقب الفتاة أو الفتى فلا يترك لها الحبل على الغارب فإذا خرجت الفتاة صحبها أخوها أو أبوها أو أمها ، وأن يحاسب الفتى على مواعيدته فلا يترك له المجال في التأخر في العودة إلى منزله ليلا ، وأن تغرس عادة النوم المبكر في نفوس الأبناء ، فكثير من الزلات والسقطات للفتى أو الفتاة إنما ترجع إلى انعدام الرقابة أو تسر الأمانات على الأبناء أو الغدوة السيئة من الوالدين .

وأن يجتنب الزوجان الخلاف على تربية طفلتهما أمامه ، فإذا لام أحدهما الطفل على تصرف من التصرفات فليس على الآخر أن يمتص من هذا اللوم أو يقلل من شأنه بأن يختصن الطفل أو يلامه على ما بدر منه ، فالتعاون بين الزوجين يجب أن يسود جو الأسرة حتى لا يبالي عقل الطفل أولا يعبأ بما يوجه إليه من مؤاخذة فيما بعد وقد رُئى أن أكثر الأطفال المعضلين كان آباؤهم مختلفين على تربيتهم وتوجيههم وربما قام الأقارب بمثل هذا الدور إذ ينقدون تصرفات الآباء مع أولادهم أمام هؤلاء الأولاد ، أو يؤوونهم في منازلهم فلا يكونون آباءهم من مؤاخذتهم .

وأن يعامل الزوج زوجته معاملة رقيقة تقوم على الاحترام والعطف لا أن ينظر إليها النظرة البدائية ، نظرية السيد للسود أو النظرة البدائية البهيمية من أن المرأة ليست إلا للاستفراش ، وأن يقيم لرأسها وزنا ويحافظ على كرامتها ، وأن يكون مهذبا في خطابه وحديثه فلا يخلع برقع الحياء ، فإن ذلك يؤدي إلى الأسفاف والتجعة ، فالخصومات والفرقة .

هذا السلوك المهذب له أثره كذلك في الأبناء فيشبون عليه ويخفى من محيطنا هذه اللغة الحيوانية التي نكس لها جهودنا ، والتي أصبحت غايتنا توجه أعمالنا وسلوكنا .
لقد فقدنا البطولة في ميادين الفتح والغزو والمسال والعلم فاستعضنا عنها بالبطولة في هذا الميدان وأهون به من ميدان !

وناحية أخرى لها خطرهما ولا نكاد ننتسبهما في جوانب تلك هي رقة المواطن أو سمو الوجدان ، فالحب معناه الشهوة والصدقة لا تكون إلا لمنفعة ، والبراء لغاية ، ومواقف اللقاء والودائع جامدة ، والاتصال بين الزوجين المفرقين لا تنبض بالحركة والحزن ، وبهجة الوالدين واهنة ومعاملة الخدم قاسية .
قبحا دواعي هذه الموجة الزاحفة .

إذا كانت أخلاقنا عاداتنا فدواعي هذه المادية أننا لم نعد منذ الصغر ولم نشأ في جو مشبع ببراء الروح فلم نذق أو نشاهد الحب الخائض والصدقة السامية والوفاء المتزه والتعبير عن خلجات النفوس وحرارة الأكياء تميرا صادقا ليس فيه رياء أو تصنع ، والاختد بيد التضعيف والبأس والمحروم .

لها أخرى الآباء والمعلمين والكتاب أن يكونوا المثل الأعلى والأسوة الحسنة فيما يسلكون أو يتعدون أو يكتبون .

وأن يمهّد الآباء الطريق لاستقلال أبنائهم الكبار ونهوضهم بالمسؤولية بأن يعملوا لكل حجة خاصة أو مكتبا خاصا ، وأن يعهدوا إلى الفتاة بمساعدة أمها في الطوبى والكي والغسل والاتفاق على المنزل ، وإلى الفتى بشراء بعض ما يلزم البيت وإصلاح ما فسد من أدواته وبهذا يعملون على نظامهم النفساني ، وأن يمنحهم الحرية - حرية التفكير والتصرف والاتجاه والسلوك في حدود السلطة الأبوية التي أشرنا إليها فإن أذهب مذهب دؤلاء المرين الحداثيين الذين يزعمون هذا المترع ويدافعون عنه في حدود الممكن لتقوية الشخصية والإفادة من التجارب .

وإذا تريا الزواج الفتى فعلى الآباء أن يعملوا على إقامة العروس في مسكن مستقل حتى لا نرى هذه العداوات والتفائل والطلاق وبعض الزوج لحمويها وتحريض زوجها عليها فالزوج بفرينتها تعمل على السيطرة على بيت زوجها والأم ترى في النزول عن سيادتها خدشا لكرامتها ، وتعديا على حقوقها مما يؤدي إلى إتساع شقة الخلاف واستحكام العدا .

محمد مصطفي عطا

أستاذ التربية وعلم النفس في برقة

نفسية المقامر

كما يحللها أنا تولى فرانس

حافظ خنى، ولكنه قوى ذلك، الذى يدفع بالمقامر كل مساء إلى موائد الميسر ... وهو حافظ الآمال تزدحم فى خياله وتسايق فى ذهنه كما تتسايق جياذ السباق ... فالميسر شيطان يزرن لصاحبه كل لحظة أمالا جديدة تتسلسل إلى غير نهاية .

يحمل المقامر أول ما يتوهم باقتناء القصر الجميل ، وربما استغف الحظ واستغف المصداقة فكأنما هو والقصر على موعد ، بعد ذلك لا بد لهذه الأنباء الفسيحة وما تشتمل عليه من وثير الرياش من مورد يكفل لها البقاء . لا بد إذن من اقتناء الضيعة التى تدر على صاحبها ذهباً وفضة ، والضيعة هنا طويامة عريضة لأنها من رسم الخيال ومن نسج الشيطان . فإذا ما استقرت بجانب القصر ضيعة ظن الرجل أن المستقبل فى طاعته فأوغل فى طمعه مجدداً فى آماله وإن لم تتجدد ، وأغراها حظه الباسم — وما أدرى أن الحظ صديقى عابر — بالإغراق فى أدانيه حتى إذا ما انتهى به المطاف إلى البحث عن أنفه ما يشتهى كئس من سيارة توصاه من قصره إلى ضيعة إنهار للاسف — بل وبالأسف — كل شئ دفعة واحدة وواد الرجل كما بدأ .

وعنا لا يعرف الندم إلى صاحبنا سبيلا ، إنه حتماً عائد إلى ما كان فيه ، لأنه سيجدد المحاولة ، لذلك تراه يتأسى ويعتاب نفسه على خطئه فى فن اللعب ، إنك تسمعه يهتس فى نفسه (أنا الذى أخطأت) .

ولم لا يكون الخطأ عنصراً متفاعلاً فى طبيعة الميسر ... ؟

إن كانت هذه هى الحقيقة فى نظر المثلاء فبهيات، أن تكون كذلك فى نظر المقامر وهو الذى أنزل الميسر من نفسه منزلة القديس المعصوم من كل خطأ وعيب .

ترجمة وتليخيص

محمد أبو النور بدير

مدير إدارة مكافحة البطالة

ضبط النفس

للأديب محمد عبد الكريم

جلونا في مقال سابق بعض ما يورده المشتغلون بالنفس والاجتماع من أساليب لتوثيق الصلة بين أفراد الجماعة والسلوك الذي يكسب المرء صداقة من يعاملونه أو يبتكون به - واليوم نعرض لعامل آخر، في بناء الشخصية مثل ماله من أثر في تكوين مجتمع صالح ذلك هو ضبط النفس .

فالعقل الذي سودنا إنما يقوم على إدراك وعاطفة ووجدان . وتلك القوى لا تثق أثرها طيبا إلا عن نفس يحسن قيادها ويحكم ضبطها وتوجيهها . وككل كائن حي يهدف الانسان في حياته الى غايتين . حفظ نفسه ، وبقاء نوعه وهو يعزز لصون ذاتين بفرائز موروثه تضيء غايتها البيئية وممارسة العيش طباعا مكتسبة - ولكل من هذه الفرائز وتلك الطباع مظاهر وصور ، وغرائزنا الأربع عشرة كما عددها ماك دوجال Mac Dougall يتم عن وجودها انفعالات تبدو ظاهرة كما أثبتت الفريزة بمؤثر خارجي - ففريزة المقاتلة مطهرها إنفعال الغضب ، والوالدية مظهرها الخوف ، وغريزة الحرب يتم عنها الخوف ، والسيطرة آيتها الزهو .

معنى ومدى ضبط النفس :

ولما كان نجاحنا في الحياة وتحقيق أملنا في العيش الآمن السعيد موكل الى حد بعيد بحسن سلوكنا وأحكام التسلط على أفعالنا الوجدانية مما تثير العواطف والانفعالات ، لذلك كان ضبط النفس من أهم ما ينبغي أن يعنى به الفرد كمنصر في كيان مجتمع مدني يربطه النفع المتبادل والصالح المشترك برباط وثيق من التكافل والتعامل ، وليس ثمة بحث لبق من عناية قادة الفكر من متشرعين ومصالحين ، وحكماء ومرميين مثل مالتى ضبط النفس - وإذا كانت الشرائع سماوية ووضعية قد هدفت الى توجيه البشرية الى التجانب والتعاون والمعاملة المهذبة ؛ فقد أقامت كلها بالتمسح حدا للنفس واتصالاتها ، وأجمعت لأديان على مقاومة الطوى وعرفته بالأنفعال والانفعالات الشاردة الى تسعى الى الفرد ذاته أو غيره - وذعبت الهندوكية الى اعتبار ضبط النفس ركنا في تليتها الديني "الحب ، الصدق ، وضبط النفس" إلا أنها اخطأت إذ أسرفت في معنى ومدى ذلك الضبط إذ جعلته في محاربة العواطف والانفعالات بما فيه تعذيب للبدن وحرمان له مما ينفعه زعما أن الروح لا تقوى إلا بتقوى حرمان الجسد من رغائبه ومطالبه .

على أن ضبط النفس في شرعة الفكر السديد ليس في مقاومة كل انفعال هو في الحقيقة مظهر تلك القرينة التي بتتها ضرورة الحياة - إنما الضبط يقوم على الحد من جوارح العاطفة ومنع شرود الانفعال بحيث لا نبدي إلا ما يستوجب الوضع ويستلزمه مقتضى الحال .

وانفه الاتنا في مجال أجسامنا كما يصورها الأستاذ ليفيت Leavitt في بحث له بجيلة سيكلوجي أشبه ما تكون بحركة بندول الساعة تتأرجح يمنة ويسرة ولكنها في حركتها تلتزم دواما مدى واحدا ومحدودا بالجانبين لا تتعداه ولا يمكن أن تتعداه ما لم يصعب تلف أو يتسرب إليها عطب .

فتحن إذا غضبنا وتجاوزنا بالغضب مجرد التعبير عن الأشياء لنقوم بفعل إيجابي شارد كالسب أو الضرب لمن لا سلطان لنا عليه، أو كتحطيم ما حولنا نكون قد خرجنا بانفعالنا عن الطاق الأمثل للغضب وتجاوزنا حدوده إلى السفه أو إلى الجنون .

ونحن إذا ما برنا انفعال الخوف إلى المغالاة في تقدير العواقب، ووقفنا أمام كل مسألة مترددين متهمين جاز للناش أن يصنفوا بالجبن وينتمونا بالعجز والضعف .

والفرط والإفراط كلاهما ضار، نشمة أوضاع تستلزم الغضب كالغضب للفق أو للكرامة، وأخرى تستوجب الخوف والإحجام كالخوف من خطر مبرح والاحجام عن سفينة تغلب خسارتها، فضبطننا لمشاعرنا فيحضر في ما نلتمه من الاعتدال في إبداء كل انفعال وفي الرجوع إلى العمل قبل السلوك دون التقيد بما يفعله الغير ولا الاتقياد إمادة من العادات .

الأضرار النفسية للانفعالات :

تتأق الانفعالات في مبدئها بالتكرار عواطف وتزعات تكيف شخصيته وتصبح بالممارسة طابعا له وخلقا متأصلا فيه، فيقال هذا حسود وذاك غضوب أو شرير - وسائرة الانفعالات ضارة بوجه عام، فكم من فرصة تضيع وصدافة تفقد بل وآثام وجرائم ترتكب لا لسبب سوى عدم إحكام ضبط النفس واتباع الهوى - كذلك الشأن في سئ العادات فالمرء يجيد من ضميره عند أى مسالك حكما صادقا على صلاح ذلك المسلك أو فساده، ولكنه كما يقول تولستوى يضمف من شأن ضميره باغثاله طاعته، فإذا استمرأ العصيان المرة بعد المرة فقد الضدير هيئته وامتد لم الرجل إماداته وأحواله - فإذمان الخمر والنخدر والميسر والتدخين واستباحة العدوان على مال الغير أو أعراضهم واستشمار البغض والحسد والكيد للناس، كل أولئك وليدة انفعالات تكرر مرة فمرة ثم لا تلبث أن تصبح تزعات وطباع دائمة متأصلة .

وللعادات السيئة زحى تبدأ دواما بانفعال مبعثه حب التقليد أو التماس لذة رقيقة دون اهتمام بالمعاقبة - لهذه العادات كذلك أضرار نفسية لا تخفى، فهي تبدأ تقليدا أو عملا شاردا

يستطيع المرء أتيانه، فإذا ارتكبه سهل عليه تكراره المرة بعد المرة، وهكذا تخلق العادة التي تتأصل اليوم بعد اليوم وتأسر المرء وتصيره تابعا أعمى يهمل بما يضره دون أن يقوى على كبح جماح نفسه .

الانفعالات تخلف سموما حتمية في أجسامنا :

إن تقاص وجوهنا وإحمرار أعيننا وتقطيب أساريرنا أو انبساطها واحمرار بشراتنا أو احتقانها وارتجاف أطرافنا أو ارتعاشها كل أولئك دليل على ما يحدثه الانفعال النفسى من أثرى جهازنا الجسمانى .

وسواء أكان الانفعال نتيجة لهذا التغيير كما تؤكد نظرية جيمس ولا يخفى أو أن التغيير الجسمانى هو النتيجة الذميمة للانفعال كما كان رأى السائد ، فن المسلم به أن الانفعال يلازمه تغيير، وأن هذا التغيير يحدث أثرا جسمانيا ينصب بصفة خاصة على الأعصاب وعلى القلب ويجارى الدورة الدموية ذات الصلة الوثيقة بالجهاز المضمى وعلى الغدد ذات الإفراز الداخلى .

تأمل مثلا انفعال الغضب تره يبدأ بهزة عصبية أثر إشارة من المخ يعقبها تدفق الدم الى الرأس، ثم انصراف جانب منه الى غدة فوق الكلى (الغدة الأدرينالية) ثم إفراز هذه الغدة للسائل الأدرينالى يلازم ذلك خفقان سريع فى الثآلب وارتجاف مدهوس فى الأطراف واصطكاك الأسنان ثم ارتعاش وتصيب للرقى . فإذا هدأت العاصفة بنى السائل الأدرينالى وهو سم يفرز ليحفر الإنسان ويؤسسه على الفتك بفرجه - سبق هذا السائل أو السم القتال بالجسم . وإذا اعتاد الإنسان الغضب تمت الغدة الأدرينالية فيه فهو محسوسا وزاد بالتالى إفرازها فتشدد نوبة الغضب حتى تنفقد الغضوب أحيانا وعيه فيقدم على القتل أو الاجرام، وتخلف من جانب آخر مقدارا مضاعفا من السم يفضى الجسم ويهدمه .

والانفعال يستلزم اجتذاب الدم أكثره الى الرأس، فيبطئ سير وظائف الأعضاء الأخرى، وخاصة الجهاز المضمى فيرتبك عمل المعدة ويقل إفراز الكبد والطحال ويحدث الأمسك الذى يخلف سموما فى الامعاء تسرى فى الدم يؤدي اذا أزمى الى فقر الدم والجزال ثم الى الموت أو الجنون .

كيف تسيطر على عواطفك وانفعالاتك :

صحة الجسم أساس كل مقدرة - الجسم البشرى ككل جهاز لا يمكن أن يؤدي وظيفته بما لم تكن دقائق أعضائه مليمة خالية من كل عطب .

نفسية المقامر

كما يحلمها أنا تول فرانس

حافظ خفي؛ ولكنه قوى ذلك، الذي يدفع بالمقامر كل مساء إلى موائد الميسر ... وهو حافظ الآمال تزدحم في خياله وتتسابق في ذهنه كما تتسابق جياد السباق ... فالميسر شيطان يزين لصاحبه كل لحظة أمالا جديدة تسلسل إلى غير نهاية .

يحلم المقامر أزل ما يحلم باقتناء القصر الجميل ، وربما أنه عنده الحظ وأسعدته المصادفة فكأنما هو والقصر على موعد ، بعد ذلك لا بد لهذه الأبناء الفسيحة وما تشتمل عليه من وثير الرياش من مورد يكفل لما البقاء . لا بد إذن من اقتناء الضيعة التي تدور على صاحبها ذهبا وفضة ، والضيعة هنا طريفة عريضة لأنها من رسم الخيال ومن نسج الشيطان . فإذا ما استقرت بجانب القصر ضيعة ظن الرجل أن المستقبل في طاعته فأوغل في طمعه مجددا في آماله وإن لم تتجدد ، وأغراها حظه الباسم — وما أدري أن الحظ صديق عابر — بالإغراق في أمانيد حتى إذا ما انتهى به المطاف إلى البحث عن أنه ما يشتمى كشمس سيارة توصاه من قصره إلى ضيعة إيهار للاسف — بل وبالأسف — كل شيء دفعة واحدة وعاد الرجل كما بدأ .

وعنا لا يعرف الندم إلى صاحبنا سيدلا ، إنه حتما عائد إلى ما كان فيه ، إنه سيجدد المحاولة ، لذلك تراه يتأسى ويمتاب نفسه على خطئه في فن اللعب ، إنك تسمعه يهتف في نفسه (أنا الذي أخطأت) .

ولم لا يكون الخطأ عنصرا متفاعلا في طبيعة الميسر ... ؟

لئن كانت هذه هي الحقيقة في نظو العقلاء فبيهاث أن تكون كذلك في نظو المقامر ما وهو الذي أنزل الميسر من نفسه منزلة القديس المعصوم من كل خطأ وعيب .

ترجمة وتأليف

محمد أبو النور بدير

مدير إدارة مكافحة البطالة

لا يخطيء ، وقد ضمن الإيطاليون أثر التهييل في قولهم : من تمهل أمن وقطع شوطا أبعد
” في العجلة الندامة وفي التأني السلامة “ ، ومن قولهم : ” أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهيرا
أبقى “ - واهل أكثر الناس ضبطا لأنفسهم هم الإنجليز وهم بطبعهم هادئون ثابتو الجنان
يعملون كما يقولون ” ببطء ولكن بآفاق “ ” Slowly but surety “ وما انتصروا
أو حكوا أو ملكوا إلا بالنفس الماددة التي غلبت بضبطها قوة النار والحديد .

تزوج إن كنت أعزبا :

وقد يكون غريبا أن نشير على الأعزب بالزواج كعلاج للإنفعالات والعواطف الشاردة ،
ولكن هذا ما يقرره علماء النفس الحديثون وفي مقدمتهم فرويد وأدلر وبرنج ، ذلك بأن
الأعزب أحد اثنين ، كاتب ممتنع أو مرتضى التشرذ الجنسي ، فالأول يجد كفته في الإنفعالات
منفذا يضيغى على الإنفعال حدة وشدة ، والثاني يخاق التشرذ الجنسي فيه قلنا نفسيا يكسب
الإنفعالات ذات الحدة والشدة .

لذلك ينصح المشتغلون بالنفس كل شاب يشعر بشرود انفعالاته أن يتزوج - ففي
الزواج استقرار يهدئ نفسه ويهدب شارد عواطفه .

والحاسة الجنسية مشردة أو مكبوتة هي كما يثبت علم النفس الحديث مصدر اختلال
كثير في العواطف والإنفعالات - فالجن والقلق والياس والاكتئاب والأفراط في الغضب
أو الرضى وكأنة المتاعب النفسية التي يعانها الشباب نجد في الزواج في كثير من الأحيان
ما يزيدنها أو يخفف من حدتها

جند قورك لمحاربة ضعف نفسك :

يقول بيرس Pierce الإرادة رغبة عن شعور حقيقى To will to wish conscionaly
قالت حين ترغب وتضع هذه الرغبة موضع تفكيرك دوما وتصل كما يشير Haddock ما بين
بتقلك الباطن وشك ترى الإرادة قد نمت فاكتملت ، وتواك تماالج القصد في غير ما تردد .

كان بنيامين فرانكلين وهو من أبطال تحرير أمريكا وأحد رؤساء جمهورية الولايات
المتحدة السابقين في إبان شبابه حامل الذكروضيف الإرادة كثير اللل .

إختلى بنفسه يوما وأخذ يتأمل ما كان عليه من نقص وما يرجوه ويطمع فيه من مستقبل ،
فوجد ألا سبيل إلى تهذيب نفسه إلا بدمام مناقشتها الحساب فيما كسبت أو اكتسبت .

كان يرى أن التاجر الذي يريد الكسب لا يستقيم له أمر إلا إذا أحصى كل يوم ماله وما عليه، نعمد بنيامين إلى كراسة صغيرة وحدد لكل يوم صحيفة فيها، فإذا كان وقت النوم يبدأ يستعرض أخطائه في يومه ويضع بالقلم تحديدا لكل خطأ ارتكبه نقطة سوداء في صحيفة اليوم معللا النفس بالاقبال من هذه النقطة السوداء في غده .

ظل بنيامين على هذه الحال مدة طويلة، كانت صحائفه خلالها تزداد كل يوم بياضا حتى جاء عليه وقت انعدام فيه أو كاد ينعدم سواد تلك الصحائف، وعند ذلك رأى الناس بنيامين الطائش، إن لم يكن هو قد رأى نفسه رأوه رجلا فاضلا بل مثالا في النبل والأخلاق الكريمة فرفعه وسودوده وكان منه الزعيم الكبير الذي قل أن يوجد بمثله التاريخ - هذه هي النفس وهذا هو سبيل إصلاحها ورحم الله البوصيري إذ قال .

والنفس كالطفل أن تهمله شب على حب الرضاع وإن تطفمه ينظم
ولا يفوتنا إذ نختم هذا البحث أن تشير إلى الإيعاء الذاتي *auto-suggestion*
كأسلوب فعال في رتق كل ضعف نفسي، فأنت حين تتأمل كيف سهل على غيرك من عم دونك علما وعقلا أن يسيطروا على مشاعرهم وأهوائهم وأن يجنبوا سفينة حياتهم ما تتعرض لها من أخطار لتثير - بتأمل سير الناجحين - رغبتك في استكمال ضعفك ثم تنزل هذه الرغبة مخففة إلى الإرادة والتنفيذ، إذا فعلت رأيك تسير إلى إصلاح نفسك ذللا، ورأيك تتحكم في عواطفك وأهوائك بروح قوية وجنان ثابت وفؤاد ملؤه العزيمة والأقدام .

محمد عبد الكريم

ليون تولستوى

المصاحح الاجتماعى

(١٨٢٨ - ١٩١٠)

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

قدر لقرية "إسانايا بولينا" الروسية أن تشهد أرضها أعظم حادث في تاريخ روسيا في أواخر القرن الماضى ، فى اليزم الثامن والعشرين من شهر أغسطس ١٨٢٨ ولد فيها الفيلسوف الكبير والمصاحح العالمى الخالد الكونت "ليون تولستوى" أول استقراطى نادى بالاصلاح وجاهر بالمساواة واعتنق العدل والإخاء .

ولقد أرادت الأقدار لحكمة فى نفسها أن تنبع الدورة الاصلاحية من بيت يديه عرافة ومبيل محتد ، يتفرع من أصل ألمانى عريق عاصر بطرس الأول وتساب منه الى جميع بقاع العالم قوانين العدالة ، على الرغم من أن أمثال تلك الأسر كانت هى الطائفة وهى القوة المتأشمة تجبأ لقد أشرق العدل من دياجير الظلم فخرج الى الكون قطب العدالة وحجة الاصلاح "تولستوى" .

ولو تدبر الباحث فى تاريخ تولستوى لوجد أنه خلق ليؤدى رسالة معينة ، رسالة خلقت مع جسده ، لم تخلقها الظروف ولا الحوادث ، بل هى فى لدم نفسه ، وأن كانت الحوادث قد كذبتها ونقضت فيها من روح الايمان ، وصبرت بها فى بوتقة التجارب ، واتخذت وقودها من صفحات الأيام وأحداث الزمان .

فن ذا الذى يقول أن صبيا لا يتجاوز الثالثة عشر من عمره يؤلف جماعة يسميها "اتحاد النوع الإنسانى" تتضمن فى عنوانها الأهداف التى تسعى إليها؟ ومن ذا الذى يعتقد أن العقل والمعرنة هما اللذان أمليا على "تولستوى" أن يجعل شعار جماعته غمنا أخضر يرمض الى الصفاء والسلام ، ولكى يضمّن له الخلود ينبته فوق قمة الجبل !! ثم هو فى نهاية عمره يوصى بدفنه فى تلك البقعة ، بقعة الصفاء والسلام واتحاد النوع الإنسانى !! إنه الإلهام ، لإلهام الذى يمنحه الأنبياء والقادة ، هو الذى وجه تولستوى ، وهو الذى وصل تفكيره وهو صمى - فنرس الغصن الأخضر - بتفكيره وهو شيخ فأوصى بأن يرقد حيث رقد الغصن الأخضر ، وهكذا شاءت الأقدار .

ها هو ذا "تولستوى" يدرج الى الخامسة عشر من عمره فيلتحق سنة ١٨٤٣ بجامعة "قازان" مع إخوته ، ولكنه سرعان ما يعاف تلك الحياة التى يحياها أقرانه فى المدينة إذ هم

يحبون حياة المترفين الذين لا يكدون ما نأما يحول دون رغبتهم ، أنهم شباب ، وشباب اغنياء في أيديهم ثروات طائلة ، "وقازان" حاضرة بالمذات ، فهل يمكن أن هو مثل "تولستوى" ، لمن يور بالعقيدة والالهام اللذان خلق لها أن يرضى بهذه الحياة ؟ كلا ، ما هو ذا الصبي يرم بحياة "نازان" ويتركها غير أسف عليها .

ثم ما هو ذا يلحق بمدرسة اللذات الشرقية ، ولكنه لا يلبث حتى يرم بها أيضا ثم يلحق بكلية الحقوق ، ولكنه ينصرف عنها كذلك ليحاول دراسة الدين والتاريخ ، ولكنه لم يفلح فقد تأثر بفكرة أن التاريخ القديم لا فائدة من دراسته ، أما أن يدرس الدين فهذا أيضا ما ياباه ، إنه يؤمن حقا بالكتب السماوية الأربع ولكنه لا يؤمن بطريقة تطبيق المسيحية ، فينصرف عن تلك الدراسة وعن الدراسات جميعا ويتقى عنده بها .

إنه فنان ، إنه صاحب رسالة ، رسالته في روحه ، والروح القوية لا تحتاج إلى ما يبعثها ، ثم ما الذي كان يستطيعه أى أستاذ يريد أن يفرض تعالجه على "تولستوى" أنه خالق لكي يكون أستاذا ، أستاذا للجبل ولروسيا وللعالم ، ولا يجوز لمثله أن يتلقى العلم من تلاميذه أستاذه للمدارس والجامعات .

ها هو يرجع إلى قريته ، وهناك يتلقى علومه على يدي عشيرته وأبناء بلده ، لا بل هو يتلقاها عن كسرة الخبز ، وعرق النامل وكد الفقير ولوعة المحتاج ، وإن كان في الحقيقة لا يتقن معارف أو علوم ، وإنما هو ينفق عن الفرصة التي يتدفق فيها نحو وجه المكبوت ورسائله الإنسانية السامية .

إن جماعة "نازان" في تلك السنة كانت الشرارة التي نبتت في نفس تولستوى ما يستل فيها من أفكار ونورات ، فراه بعدها يحاول أن يجد حلا لتلك المشكلة الخطيرة مستندا إلى آراء "جان جاك روسو" ، ولكن عبثا ، فإن مثل الانقلاب الذي توحى به أفكار "روسو" لا يتم في زمن وجيز كما يتصور تولستوى ، فما يلبث أن ينصرف عن هذا الدلاج بعد أن أفق ستة شهور يحاول فيها علاج ما ترسب في النفوس فانتابعت عليه من مخيمة وظلم .

ومصلحتنا من النوع الذي يتأثر شخصيا بالموضوعات التي تصدى لها ، فهو عندما أخفق في إيجاد الحل الذي يرضيه ويرضى طموحه برم بالإقامة في البلاد فرحل إلى "بطرسبورج" وقد ربا في نفسه الألم حتى لم يعد يتألم ، وتولد من فرط الألم نزوع إلى الترف والمذات ، ومن ثم فيها هو "تولستوى" يتمس في المذات والهوى بشكل جنوني ويندفع في تيسر المترفين يقدم في لحوهم وريباتهم حتى برهم وتطلب تليهم . ولكن هذا البهيم يطل فقد ضايقه ذلك البربخ والترف السخيف ولذلك تراه يتولى في مذكراته "وكت أعيش كالحشرات والسائمة ، لأطالع ولا أكتب حتى وصلت إلى أحط درجات الانحطاط الأدبي ، وهذا طبيعي لشاب يريد الطموح والمعالى فيقابل بالسخرية والحزوء" .

ويعضى تولستوى إلى التوقاز حيث يخرج أول إنتاج له قصة "الطفولة" سنة ١٨٥٢ وبهذه الرواية يطرق أبواب المجد فتفتح له عيون الحكمة .

تتابع بعد ذلك صفحات المجد في تاريخ تولستوى ففى أحيانا تبدو مرصعة بروايته الخالدة "سياستوبول" أو مزدانة بالقصة الاجتماعية الكبيرة "أنا كارزينا" وغيرها وغيرها من التخصص القصيرة والرسائل الاجتماعية الفذة والمشروعات الإصلاحية الناضجة حتى بلغ تولستوى قمة المجد وامتلك ناصية الأدب والإصلاح ، فجاءت قصة "البعث" ترانا أديبا واجتماعيا خالدا على مدى العصور والأجيال .

"لست أدري أين إذن العبقرية والنبوغ إن لم تكن قصة "البعث" هي عنوانها" . بهذه العبارة علق أحد الكاب الأمريكيين بعد أن فرغ من مطالعة تلك الرواية الخالدة ، التي أيكثروا أعواما ولا زالت حتى الآن تنزع الدهوع من مآق أصحاب القلوب الصلدة في مختلف بقاع العالم .

إن قصة "البعث" تراث إنساني محض ، هي قصة الحياة بصورها المتناقضة وحكمتها الساحرة وأوضاعها المساجنة ، ومن ففى قصة نسجت حكمتها بيد أجادت صوغها فأضفت على المخلوقات بالتالى نوعا من الفضائل السامية والتضحيات الغالية والألم والكفاح لتحقيق المثل العليا وانكار الذات والم لذات في سبيل راحة الضمير وهدوء البال .

ما هو تولستوى في براعة الكاتب اللبقي والمصالح المدقق يحاول أن يخلق في نفوس الشباب روحا عادلة تنأى عن الظلم ودى في عقواتها فتأباه ، حتى إذا قطعت مراحل الحياة المستقبلية اشمازت منه وحققت العدالة والانتصار للحق والفضيلة . فزاه في قصته يضمنى على بطاه "نيكليودوف" ثوبا من الكمال فيثقف نفسه اجتماعيا على يدى فيلسوف الانجليز العظيم "هربرت سبنسر" فيجعله ماما بقاءه كلها ، مؤمنا بنظرياته في ملكية الأرض بالرغم من امتلاكه الأراضي الواسعة والضياع الكبيرة الشاسعة ، ثم هو في موضع آخر يستنكر على لسان بطله ما ينطوى عليه نظام توزيع الأرض من ظلم واقتتات حتى أنه ينشئ رسالته في نهاية تعليمه على " ملكية الأرض " .

ولكن تولستوى كاتب من كتاب الحياة الواقعية بحلوا ومرحا وخيرها وشرحا ، فزاه لا يندع بما يبدو في نفس بطله من روح نزاة إلى العدل والحق ، بل هو أيضا من البشر ، والبشر من التراب والتلين وميولهم كذلك ترابية ، فلن يلبث حتى يخلق منه حيوانا يتربص بالفريسة حتى يقنتنها وينشب فيها أظافره ثم يلفظها بعد أن يحها .

وان تتطلى على القراء تلك المعاذير التي حاول بها تولستوى أن يبنى عن بطله صفة الجريمة بقوله " ان نكليودوف قد حاول أن يدافع عن مبادئه السامية وفضه العالية ، ولكنه

وجد أن الخير في نظره هو الشر في نظر الناس . وإن الشر في نظرهم هو الخير في نفسه . فلم يلبث أن ألقى سلاحه واندفع في عالم المجازاة وانسلك مضطرا ضمن أعوان الرذيلة واللام والمعصية .

يتضح لنا إذن أن تولستوى إنما يصور في النوع الانساني ناحيتي الخير والشر ، ويؤيد لنا صدق ما ذهبنا إليه أنه جعل من بطلته " كاتوشا " فتاة ساذجة تبهرها النظرات الساجية والشباب القوي والكلمات المنمقة . ثم هو يعود فيحدثنا " فيرا ديكوف " تلك الفتاة الصغيرة الفقيرة التي لم تصب من العلم إلا قليلا ، زاهد بصور لنا في نفسها روحا قوية عمزوجة بمناعة لا تتأثر بسحر الرحولة ولا ببريق الذهب أو بما يغري المرأة من المظاهر الدنيوية التي تتماها . وفي قوة ومضاء تتقدم من البطل الثرى الجميل الأمثل فنقول له " علمت أنك متاه في الغنى غارق في الثراء ، تنثر المال بغير حساب فيما لا ينفع ولا يوثق ثمرا ، وأنا أريد نفع بلادى ولكنني لا أستطيع ذلك . لأنني لا أملك ما لا يساعدني على تحقيقى بغيتى . أترضى أن تقرضنى مبلغا من المال يكون دينالك في عنق حتى أتم دراستى ؟ وأظن أنه لا يضرك أنت يامن تنفق أموالك في الإثم والعبث أن تعمل يوما خيرا يذكرك فتنقذنى ما يوازى الأربعة جنيهات . وإذا رفضت فلا بأس عليك " .

أنه تناقض في الشخصيتين لاصرأتين الأبلى ساذجة جاهلة ، والأخرى متوقدة الذكاء واسعة الحيلة جريئة شجاعة وحى مع ذلك لا تفضل الأولى علما إلا في القليل النادر . ألم أقل أنه كاتب يعيش في الحياة ويخضع لنوايسها وأطوارها ؟ .

ولكن تولستوى ليس بالمتشائم الذى يساير الحياة في اقرار نهايتها الممهودة السخيغة فيسير في الطريق الطبيعي ويختم به حياة أبطاله ، فنراه في النهاية يغلب الخير على الشر في النفوس ويخلق من المخطئين شهداء وأبرار ، ويجعل من الفساد هاديا الى الصلاح فينقذ النوع الانساني من وهدة الانحطاط والمطامع والظلم والاستعباد .

وتشيق بنا الصفحات لو تناولنا ما تحويه قصة " البعث " من لمحات فنية ومنابع اصلاحية لا ينسب ماؤها ولا تفتى عذوبتها فنكتفى بما ذكرنا لكي نخرج الى تولستوى وهو في قمة مجده حيث بشر العالم بسفره الرائع " مساوى المجتمع وعلاجها " الذى ألفه في أواخر أيام حياته ، ففهد وضع تولستوى دستورا جديدا في الاصلاح إذ تناول (١) الملكية الزراعية (٢) العمل والعسال (٣) نقطة البدء في الاصلاح ، وغيرها من الموضوعات الحيوية التي تتصل بالعدالة الاجتماعية وتعطى الفرد حقه قبل الحكومة ، وتعطى الحكومة سلطانها الحقيقية قبل الفرد .

فهاهو تولستوى يجهد الزراعة ويعتبرها أهم الحياة فتراه يقول " المعيشة من الأرض والثقوت مما يثمره نبي أحنأ معيشة لبني الإنسان ووأقر سمادة في استغلال حياته " ثم هو يقول في موضع

أخبرني مجال التفاضل بين الزراعة والصناعة "إن الارتقاء مما تنتجه الأرض لا يمنع العمال من الاشتغال بالصناعة في بيوتهم أو معاملهم، وإذا فرضنا وقام هذا العمل بأي زراعة تحاثلنا بينهم وبين الصناعة، فليس ينبغي لنا أن نقبل صناعة الآلات عديمة النفع بل الضارة بالمجتمع الإنساني. العمالة على التخريب والتدمير والتفكك، تلك التي تدور عليها تروس الآلات بسرعة فائقة في المعامل والمصانع، ولو زاد الانتاج الزراعي بأنواعه فإن ذلك لن ينقص بحال من ثروة الشعب أو من احتياجاته، فالشعوب أحق بما يبعث فيها الحياة القوية لا بما يسلبها "إياها".

وفي موضع آخر ترى "تولستوى" يقتصر على العصر الذهبي للإصلاح الاجتماعي ويرى أن التوازن والمعاملات في العصور السابقة — أي قبل الملكية الفردية — أحسن وأعدل من قوانين العصر الحاضر، وإن النرد في الماضي كان أسعد حظا وأعتنا بالأمن النرد في العصر الحاضر.

وقد حاول كذلك غيره من العلماء إثبات وجود هذا العصر الذهبي بالأدلة العلمية، ثم التجأوا للاسطير المحكية والتخصيس الدينية وقالوا بأن ما يروى فيها جميعا من أخبار ذلك العصر الذهبي دليل على وجوده. وقد عرفوه بأنه "سابق للملكية الفردية، سابق لانقسام الناس شيئا وفرنقا وأحزابا بدافع المطامع الذاتية والمنافع الخاصة بعد أن كانوا جميعا أخوة أبناء أسرة واحدة تربطهم رابطة الجنس الإنساني والعالم الأرضي.

وهذا لا يمنعنا من أن نذكر أن بعضا آخر من العلماء أخذ يفتش آراء تولستوى في هذا الموضوع واعتبر أن هذه الفترة مصدرنا الحنين إلى الماضي الجميل وذكرياته وشباب الإنسانية وتوحيها وتمزجتها، ورغبة في الهرب من الحاضر المخوف بالمحاربة والمتاعب وقد كان بلان جاك روسو بمؤلفاته أثر عظيم في تقوية هذه الفكرة. وهذا ظاهر في كتبه وخصوصا في رسالته المشهورتين "العقد الاجتماعي Le contrat Social والثانية "أصل التفاوت بين البشر".

ولكن العلماء الذين عاصروا تولستوى يقولون بل ويؤكدون أن العصر الذهبي لم يوجد ولم يمض ولكنه آت ... وكل آت قريب ... على أنه لن يبرز على الأمم وهي راقدة أو ضائرة في سماء الأعلام أو غارقة في بحار الخمول، بل هو يشرف على الأمم الحية الناهضة اليقظة العاملة، لاف الصباح عتيم النوم العميق، ولكن حصرا عندما يشارف السائل على إتمام عمله ويتصعب جبينه عرفقا وتبرز شرايين أذرعته تعباً من أثر العمل والجهاد، فيؤي إذن مكافأة العاملين اليقظين، والأيام العاملة هي التي تنسج برد مكافئاتها وتسال جائزة عليها بعد أن تحيك كل خيط من خيوطها وتتنن نظم سداها ولحماتها.

وفي هذا المعنى يعجبني قول "سان سيمون" الفرنسي حيث قال «أفقد شاء خيال الشعراء ، أن يجعل العصر الذهبي في عهد العقل الانساني ، أي في وسط الجزالة والطفلة والفترة وهو لعمرى عهد طفولة الإنذرك البشرى الأجدد به أن يكون عصر الحديد لا عصر الذهب ، فإن عصر الذهب الانساني ليس وراءنا في الماضي بل هو أمامنا في المستقبل . إنه ثمرة الكمال الاجتماعى لم يتمتع بها أبائنا ولعل أولادنا يصلون إليه يوما ما ولكنهم لن يصلوا إليه إلا إذا رسمنا لهم الخطة ومهدنا لهم السبيل .

هذه هى قصة العصر الذهبي كما حدثت تقريبا في القرن التاسع عشر ، وتبين منها أن العلماء يتطلعون إلى الكمال ، ومنهم من يراه وراء ظهورهم وهم ما يصح أن نسميهم بالمتشائمين ومنهم من يرويه أمامهم وهم ما نسميهم بالساحطين الآملين ، كما نرى أن تولستوى كان وسطا بين أولئك يودع هؤلاء ، فهو ليس بالمتشائم الجارم ، ولا بالساحط السافر لأنه وسط بين هذا وذاك إذا تحمس على الماضي فالتما لكى يدعو إلى استكمال الحاضر وإصلاح أحوال الناس بإصلاح شؤونهم .

ويتفق تولستوى في نظرية الأخذ بيد الطبقات الفقيرة مع الفيلسوف الانجليزي الكبير "هربرت سبنسر" فيلسوف القرن التاسع عشر فتراه يقول في كتابه "مناصرة الحرية" "إن حظ الأغلبية كان يما يزال محزنا إلى درجة أن المفكر لا يستطيع التأمل في حالهم دون أن يحترقه مزيج من الكدر ... ولا ريب عندي في أن النظام الاجتماعى الحالى نظام مشؤوم ولا ينظر إليه إنسان محب بلذسه بعين الرضا ! وكذلك جزود الناس التى تبذل في ظل هذا النظام تستدعى السخط ولا تنال إعجاب أحد ، فإن التمييز بين الناس بالدرجات والفروق العظيمة في وسائل الحياة تدل على بعد المسافة بين الحقيقة والخيال وسلوك الناس تحت ضغط الحياة الاجتماعية اللاذعة وتحت تأثير ما تستلزمه من التبرج مما ينفق كل ذى طبع سليم".

وهذا أيضا رأى فيلسوف عظيم لا يقل في نبوغه عن عظيمة تولستوى المصلح ، وقد استوحى هذا الرأى طبيعة الحال من طول التأمل في أحوال البشر والنظر في مختلف شؤونهم ، ودرس أطيوارهم وتطورهم من أصل خائفتهم إلى نظام مدهشهم في حياة اجتماعية منظمة .

وإن من ينظر في آراء تولستوى نحو إصلاح حال الطبقات الفقيرة ، يدرك في الحال أنه يرى نظام المجتمع الحالى ويدركها ويشير إليها وينسبها إلى مبدأ تقسيم الثروة وإلى تفضيل الحسب والنسب على الكفاءة الذاتية ، ويقول إن أغلبية الناس تن من ظلم الحياة الاجتماعية الحاضرة ، ثم شو الثالث يحمل الحكومة مسؤولية هذا الوضع ، شراكة في ذلك مع أصحاب رؤوس الأموال ، ثم يعود باللائمة كذلك على الطبقات الفقيرة ذاتها فيطلب منهم أن يصلحوا

من شأنهم بالتطور وهو استرداد الحقوق ، وهذا هو الذي أرادت الأقدار والحوادث أن نشاهده في البلاد الأجنبية .

إن في حياة تولستوى لصفحات خالدها يعجزنا أن نتبع أيامها أو ساعاتها أو دقائقها ، فإن هذا يحتاج إلى سفر كبير ، فهذا المصلح الكبير قد عاش حياة لم ينفق منها لحظة واحدة دون أن يستغلها لحير الإنسانية والعمل على سعادة الآخرين ، ولذلك فنجن نتعجل السنوات والأيام في حياة ذلك العبقري لكي نرافقه في أواخر عمره بعد أن وزع أراضيه بين الفلاحين وجاء بكل ما يملك في سبيل نصرته قضيتته ، حتى إنه عرض حياته يوماً قرباًنا متواضعا على مذهب الانتصار للعدالة وللطبقات المظلومة وقد قال " هاك رأسي أقدمها بكل اغتباط بعد أن طال بها الزمن فدية لمواطني الأعزاء " !!

برم تولستوى بحياته وضائق نفسه الكبيرة بما يراه فيها من أوضاع شائنة وظلم صارخ واشتمارت نفسه من رفاهية زوجته وعائلته ، فعول على الحرب من أسرته ، ولحكمة الأقدار كانت الليلة التي نفذ فيها هذه الفكرة - التي طالما خامرتة - ليلة ممطرة شديدة البرودة ، فاحتفى في الطريق بيت ناطر محطة " سنبوفو " ولكنه كان قد تأثر بالجو الصاخب ، وما هي إلا بضعة أيام حتى توفي كاتب روسيا العظيم متأثراً بالانتهاب الرئوي .

وهكذا انطفأ السراج الذي أضاء العالم الأرضي ليشرق في العالم السايوي مشعل العدالة وليظل أبداً وهاجا يتعم في ضيائه اسم " تولستوى " المصلح الاجتماعي .

زياب محمد حسين

أقوال المختارة

١ - إن الانسان لكي يكمل نمؤه يحتاج إلى كل العناصر الحية التي تؤلف بين أجزاء حياته المتخالطة وهذا هو الذهب في أن شذاه يجب أن يزرع في حقول مختلفة ، وينتج من منابع متفرقة " تاغور "

٢ - أحرار النكرهم الذين يستخدمون عقولهم دون ما غرض وبلا تميز وفي غير ما خوف أو رهبة من فهم الأشياء التي تصطدم بمبادئهم وتقاليدهم وامتيازاتهم ومعتقداتهم .
" تولستوى "

الرياضيون في خدمة المجتمع

أو الزكاة عن العاقبة

للأستاذ عريان يوسف سعد

أريد أن أعترف قبل أن أتقدم بهذه الكلمة أنني واثق كل الثقة أنها ستجد رسالة محنقة، وأنها تقدم للناس أو للرياضيين على الأصح رأيا لا يكاد يقف على قدميه، بل لعنه رأى لا قدمين له فيقف عليهما، ولعل هذا الضعف الذي أعتقد أنه سيبدو عليه هو الذي حبه إلى وحملني على أن أحمله هذه الكلمة معرضا نفسي لما يتعرض له صاحب الرأي السقيم مما لا يجب الكاتب أن يتعرض له لآني أحب مناصرة الضعيف إن بدلى في شأيا ضعفه الحق .

وكذلك لأن أوسع الآراء ذيوعا وانتشارا لم تكن أقواها عند بزوغها يوم جهزها أصحابها بل إن من أثبتتها على الزمن ماذهب أصحابها ضحيتها ، فتاهم الناس لفرط ما بدا على آرائهم من سقم وغرابة كأنها السقط لاشبه بينه وبين المولود الصحيح .

ولست أريد أن أدعي أن هذا الرأي سيذيع ذبوع تلك النظريات الواسعة الذبوع وإن كنت أتمنى له ذلك .

بعد هذا التمهيد أراني لا أزال بحاجة إلى تميد آخر . ذلك أننا إذا رأينا رجلا انبسط له الرزق فكثرت ماله وزاد على حاجته فعمد إلى الكجاليات فلم يكف منها بما يكفني به أمثاله ، بل راح يسرف في انفاق ماله في أغراض لا فائدة فيها إلا أن تظهر للناس ثراه وبسطة رزقه فقدنا فيه ذلك السرف وقلنا لو أنه أنفق ذلك المال فيما يعود على رفاق الحال بالنفع بل إن هذا النقد قد دخل دائرة التشريع فأصبحنا نسمع عن قوانين "مد الدخل فإن زاد عن الحد دخل الزائد بيت المال .

لم أرد بكلمتي أن تحمل رأيا في المال الزائد فقد سبق كما قلت الكلام فيه بل التشريع له ، إنما ذكرت المال لأنه في نظري قوة من القوى تكلم الناس عنها وتركوا غيرها .

إنما أردت الرياضى القوى المعجب بحال جسمه وقوة عضلاته يعمد إلى رياضته التي يجربها فيما رسها حتى يتصبب العرق من جبينه وحتى يدوى له المنكان بالذئاف والتصفيق إعجابا واستحسانا ، أليس مثله كمثل الغنى المفرط الغنى يدفع مائة ألف من الخيئات ثما لصورة يملتها على جدار غرفة في منزله يكفيه من ضياع تلك الثروة ثريد الناس خبر شراره تلك الصورة التي لا يحوى قصر غنى من الاغنياء مثلها ، إذن فيؤبى بطل الاغنياء فاز عليهم "بضربة قاضية" .

وهذا الصحيح الجسم المفتول الفضل رفع من الحديد ما لم يرفع غيره من الأقوياء أمثاله ، فنأز عليهم وعلبهم على اقب البطولة .

لقد استسنا توجيه اللوم إلى الأغنياء الذين يتبارون في إنفاق المال فيما لا يعود على الناس بالنفع ، فإذا جئت اليوم أوجه اللوم إلى الرياضيين يسرفون في استعمال قوتهم فيما لا خيره إلا أن يرفع ذكركم بين الأقوياء وحزلكم من رفاق الحال من ينوء بجثته لا يحمله له عليه ، لو أن هؤلاء الأقوياء متدوا اليهم يد العون يساعدهم في حل أعابهم فيرتنون عنهم بعض الشيء ، وهم في نفس الوقت يتريثون ويكسبون قوة على قوتهم ولكنه كسب مزدوج ، عضلات تنمو وثراب يكسب .

أقول لو أن هذا الرياضي القوى الجسم المفتول الفضل وجه قوة عضله إلى مساعدة ذلك الضعيف الذي يعمر جسمه الضايل ليؤدي عملا يعينه على كسب القوت أما يتقدم بعمله هذا للإنسانية المحتاجة بعض العون .

هذا مجمل الرأي وهو كما ترى لا شكل له كأنه حجر المعدن ، وسأحاول أن أعصمه وأعطيه بشكلًا يجعل له قيمة المعدن المستخلص من الحجر .

يمر المترو كل يوم مسرعاً نأرى من نافذته تلك الحقول الصغيرة وأرى رجالاً يستقون تلك الحقول بالشادوف ، نأناهل تلك الحركات التي يعمد إليها الرجل فإذا هي رياضة كاملة فيها الجذب والانحناء والرفع ، وأذكر كيف أنى وأنا أقوم بتمارين الصباح لا أظن من هنا بمثل ما يظفر هذا الرجل من عمله .

وكم من مترف حول هؤلاء يسخر عضلاته في الصباح والمساء لنوع أو آخر من الرياضة أو يتسابق بالقوة واحتفاظاً بالصحة .

وكنت قبل هذه المرحلة من مراحل الحياة أقطع المسافة عدواً من كوبرى قصر النيل إلى كوبرى عباس إلى الجزيرة إلى كوبرى قصر النيل (الحدوي اسماعيل الآن) ، وهي مسافة تبلغ التسعة كيلو مترات ، فإذا انتهيت منها أنا وزهلاى سرنا أننا قنا برياضتنا المحبوبة العنيفة ، وكان يقابلنا رجال وأطفال يهدو عليهم الحزالي يمر الواحد عربة يد عليها نوع من الخضار أو القصب ويدفع طنبله العربة من الخلف وهما يلتهان لا يرحمان أنفسهما لأن الصراع في سبيل الحياة لا يرحمهما وعلبهما أن يصلا بينهما في الصباح قبل أن يضيع وقت السوق .

لو أنى وزهلاى العدائين بدل أن نجري حتى ينكأ التعب عمد كل منا إلى عربة من تلك العربات فدفعها خلف صاحبها نصف ساعة أما كان في ذلك من الرياضة ما لا نجده في العدو من الناحية الرياضية ؟ نعم ولما بجانب الرياضة قد أسدينا لذلك المكرد يدا ترفه عنه بعض يؤسه .

وفي حقيقة قبل تلك كنت أشارك في سباق الزوارق وكنت وكأنت زملائي في تلك الرياضة لبذل من الجهد في الجذف ما كنا نفرح به لأنه رياضة نافعة للصحة مكسبة للقوة، ولكن كم من البحارة يجذف طول يومه لينقل مستأجره من ضفة إلى ضفة ولو أعانه أمثالنا على عمله لاستراح بعض الشيء .

وقس على ذلك فروع الرياضة كلها لأنها لمولا تكسب الانسانية من المجهود الذي يبذل فيه قليلا ولا كثيرا .

هذه الجهود الضائمة مثلها كمثل مال ذي الرزق الواسع ينفقه على التحف والنادر من الأشياء التي تصبح بعد قليل حين يعتادها ويعتاد رؤياها شيئا عاديا لا يستمديه ولا يفكر في النظر اليه . ألا ترى حارس الأتار لا يشعر نحوها بشيء من اللذة التي تمتلك مشاعر من يراها لأول مرة ؟

هذه الجهود التي نضيعها، نحن الرياضيين، ثروة تحرق كل يوم قربانا على مذبح الغرور.

لعل القارئ تسرب الى ذهنه أنني أحمل على الرياضة وأدعو إلى مقاطعتها ومحاربتها لكن ينصرف الناس إلى حمل أعباء العمل المنتج مع من يحملونها من المضطرين لجلها في سبيل كسب القوت .

ولكنني لا أقصد شيئا من ذلك بل إن الرياضة عندي لا تعد لها خصلة من الخصال بل إنها في نظري يجب أن تكون اجبارية على كل فرد، بل أنني أعتقد أن من الخير أن يفرض على الموظفين — وهم في مجموعهم أحوج الناس إلى الرياضة — أن يقوموا قبل بدء عملهم كل يوم بشيء من الرياضة ولو خمس دقائق .

ولكن الذي أقصد اليه هو أن يسن الرياضيون سنة جديدة لمن بلغ مرتبة عالية من القوة وجمال الجسم، ذلك أن يعاونوا المجهدين في عملهم بغير أجر طبعاً يرفهون عنهم ويكسبون قوة على قوتهم على أن يقللوا من الرياضة .

لا بد أنك ستخيل تلك الشواذيف حول القاهرة يعمل فيها الرياضيون، ولا بد أنك ستخيل عربات اليد الثقيلة الأحمال يجرها أولئك المكودون ووراء كل عربة رياضي يدفعها فتضحك لسخافة الرأي، فالرياضي رجل له مكانته واحترامه وما هو ودفع العربات .

ولكنك لو نظرت إلى الرأي من ناحية ذلك المكودون الذي يجر العربة وكلما خطا خطوة زاد ثقل العربة خلفه حتى يبيه الجرف فيقف يتلمس في الوقفة شيئا من الراحة أو أنك فكرت فيه وهو يهم بالوقوف لأنه لا يقوى على الجرف ناذا بالعربة تدفعه وما طيه إلا أن يسير فينظر

خلفه ، فإذا ملاك رحمة قد حبط عايبه فحمل عنه عبئه . أو أنك نظرت إلى الرأي من ناحية هذا المكودور ورسمت السعادة التي تنبض على روحه المريرة فتسعدنا لغيرت رأيك لما رأيت فيه رأيك الأول .

ولكن هذا لا يمكن أن يتم إلا إذا ذكر فيه الرياضيون وعمدوا إلى تنظيمه حتى لا يكون من يعمل هذا العمل أضحوكة الناس .

لعل مثلا أو مثلين يقربان هذا الرأي الغريب قليلا من العقل لا يصبح رأيا يعمل على تنفيذه ولكن ليكون فكرة يصح أن تناقش أو تغلب وجوهها .

أما المثل الأول فهو نشأة جمعية الإسعاف التي أصبحت حقيقة من حقائق الحياة لا يفكر أحد في التفكير فيها .

كان الرجل يسقط في الشارع لأي سبب فلا يجد من يهتم به إلا أن يسره شرطي فيتحايل على نقله أو يتركه لأهل الشفقة يتولون أمره كل على قدر تفكيره .

وتطوع رجال لا إنشاء جماعة قليلة للإسعاف تطورت حتى أصبحت على ما نرى مؤسسة لا تستطيع الإنسانية الحياة بدونها .

وضجرت فضليات السيدات بحياة الخدور وتضييع الوقت فيما لا خير فيه ناخذن يظفن بيوت الفقراء بسدين النصح والمعونة لزيلاتهن المحتاجات من ربات تلك البيوت ونشأت من هذه العاطفة الخيرة كل جماعات السيدات .

فلم لا يوجه الرياضيون أقوياء الأجسام مفتواو المضل شيئا من فتوتهم وقوتهم إلى مساعدة المكودورين من الرجال الذين في عملهم رياضة لمن يمارسه بعض الوقت .

إن في حمل الأثقال وفي كثير من المهن إرهاقا للقائمين بها ، وإن فيها رياضة لغواة الرياضة ولكن مساهمة الرياضيين فيها تكسبهم بجانب الصحة سعادة لا حد لها إذا ما عمدوا إلى أولئك المكودورين فرفهوا عنهم .

هذا هو الرأي الذي أعرضه ليس وليد اليوم ، ولكنه ساورني طويلا ، فعسى أن يكون له شيء من الحظ فيناقش أو ينقذه الرياضيون كل جماعة في محيطها .

بقيت كلمة أخيرة وهي أن الإنسان إذا ساعد في نوع من العمل مما يأنف أن يؤديه لتفاهته وتفاحة أجره ولا انحطاط مستوى القائم به بالنسبة للرياضي المحظوظ المسور ، إن الإنسان إذا ساعد في عمل من هذا النوع لم يكن كسبه قاصرا على رياضته البدنية للجهود الذي يبذله ولكنه يعتمل النفس ويرشدها إلى آفاق من الإحساس لاعهد لها بها .

إنه علاج للحرور والكبرياء الزائفة التي تملأ كثيرا من النفوس لأنها تعتقد أنها من طينة غير طينة هؤلاء المكودورين .

وإنه علاج كذلك لثلك النفوس المحطمة لتي تنظر إلى الطبقات المنعمة نظرة الحقد والكراهية ، فإنها إن رأت منها ذلك العون أكبرتها وأكبرت مروءتها .

قرأت في مجلة رياضية تطبع في أمريكا - قبل الحرب طبعاً - أن كثيرا من الشبان الرياضيين ممن لا يزالون في الجامعات أو ممن يعملون في مكاتب البنوك والشركات يقضون إجازتهم السنوية لاعلى شاطئ البحر ، ولكن في حقول القمح والذرة ، يصدون ويعملون في الحقول ، فيجمعون إلى الحياة في الهواء الطلق لذة العمل الجدي والتعرف إلى أهل المزارع والوقوف على دقائق الحياة في الريف ويعملون مع ذلك كد أجرا لا بأس به ، لأن أجر العامل في الزراعة هناك يكاد يقارب أجر العاملين في المكاتب .

كانوا يترضون رياضة محمية عنيفة ، وكانوا يكسبون من رياضتهم مالا لا بأس به ، ذلك لأن المال كان هناك وافرا والأيدى العاملة قليلة .

ولكننا هنا لنا شأن آخر ، العمال كثيرون وعملهم شاق وأجرهم نافع ، فإذا أراد الرياضيون مد يد العون فلا بد أن يكون عونهم للعمال عونا بنيرا أجر يرفعون عنهم بعض العبء وهم في ذلك يترضون .

لو أن هذه الفكرة قلبت وجوها فأخذ بها الرياضيون ، وبدأنا نرى مصكرات الرياضيين مضروبة في القرى المجاورة لهم يساهمون في العمل حينما شاءوا لوجدوا في ذلك رياضة لا حد لفائدتها ولوجدوا فرصة لدراسة شؤون الريف والتصرف إلى أهله ، يسدون لهم من النصح ما عت لهم أن يسدوه .

ولكن لهذه المساعدة شرطا لا بد من الإلتباه إليه وإلا انقلبت منافسة يمتثلها أصحاب العمل ، ذلك ألا يترتب على تلك المساعدة إنتظار صاحب العمل لجهودهم فيحرم أجره الأصيل من أجره ، إنما يجب أن تكون المساعدة خاطفة لا مومد لها ولا انذار بوقوعها .

وشيئا آخر أريد أن أنبه إليه وهو أن هذه المساعدات أنى كانت ليس من شأنها أن تصرف أهل كل رياضة عن رياضتهم والنبوغ فيها ، إنما هي توجيه جديد للفائض من النشاط والقوة إلى تطبيق لبدأ الحكيم في قوله تعالى : (ينفق ذو سعة من سعته) ، فلم لا ينفق ذو السعة في القوة شيئا من قوته في مساعدة الضعيف كما ينفق العالم شيئا من علمه في مساعدة الجاهل ؟ فليست السعة في المال وحده .

لقد بسط الله للرياضي رزقه من القوة وإن لله على النائم حقا هو الزكاة تدفع من الرزق والكسب ، والقوة التي كسبها الرياضي تجب عليها الزكاة وإذا كانت تلك الزكاة لم تنظم من قبل فذلك لأن الرياضة لم تكن تعرف على أنها باب لكسب الصحة ، أما وقد عرفت وعرف كسبها فلم لا يدفع الكاسب منها صدقة تطوره وتركه ؟!

أريد أن يكون للرياضيين من الثواب وشرف التبرع للأسانية ما للغنى الذي يكذب ويخدع
بجمع المال، فإذا جمع منه ما يزيد على كفايته تبرع منه للاحتاجين إليه صدقة وإحسانا مشكورا
لهم في الدنيا والآخرة .

والرياضي الذي يجهد نفسه في الرياضة يكسب من كده وتعبه أكثر مما في الوجود، أعنى
القوة وصحة الجسد وبماله فإذا أحسن الغنى إلى الفقير بشيء من ماله المكسب، فلم لا يتبرع
الرياضي من ثروته المكسوبة وهي انقوة بشيء للضعفاء وهم منه كالفقير من الغنى .

وكما أن الغنى يعمل بجمع المال ثم يتبرع منه بشيء للفقير، كذلك يجب على الرياضي الذي
يسعى بجمع القوة عن طريق الرياضة إذا حصل على ما يجب من قوة أن يتبرع بشيء منها
للحاجين إليها بأن يساعد واحدا من الضعفاء على إنجاز عمله .

لو أن أعضاء كل ناد خرجوا بعد الفراغ من رياضتهم إلى الطريق فما وجدوا مجهدا
في عمل إلا ساعدوه فيه لكان ذلك تبرعا منهم لا يقل قيمة عن تبرع الأغنياء بالمال، لأن
المال إن ساعد في الترفيه عن الفقراء بخدمهم بما يحتاجون إليه من كسوة أو طعام فإن هذه
المساعدة من الرياضي ترقه عن الفقير برفع جزء من العبء عن كاهله وتنبئه شيئا من الراحة
لو أراد أن يتمتع به من غير المساعدة التي هبطت عليه من سماء الرياضة لتقل انتاجه الذي
فرض عليه طول الوقت الذي يستريحه فقل أجرة بنفس النسبة، وإذن فمساعدة الرياضي لها
قيمتها المالية بطريق غير مباشر .

لو أن الرياضيين في كل ناد نظموا تلك المساعدة ووجهوها إلى من يستحقها لشعروا
بعد قليل بشكر أولئك المجهدين، ولكانوا إلى قلوب تلك الطبقة من البشر أحب من سائر
الناس ولشعرت تلك الطائفة بفائدة الرياضة البدنية فكانوا خير دعايتها وكانوا سببا في تعشق
أولاد الفقراء لها، فيغشون الساحات الشعبية يتحمس لها هم وأهلهم الذين يرون كيف تحسن
الرياضة إلى أمتهم .

هذا أفق جديد أرجو أن تجوبه الأقلام عمى أن يكون فيه خير، وعمى أن أكون قد
بالغت في وصفه الذي وصفته به في أول هذه الكلمة .

عربان يوسف سعد
بمجلس الشيوخ

كيف يكون مسكن الفلاح ؟

أدلى حضرة الأستاذ محمد سعيد جهموم مدير الشركة المالية والاقتصادية
في مندوب البريدة التجارية المصرية بالحديث القيم الذي نشره تبليطاً :

في اعتقادي أن البرنامج الحكومي لتوفير مساكن صحية للفلاحين يجب أن يدرس على
أساس آخر بحيث يجعل المساواة مكفولة بين جميع سكان القرى، في النظر كله مع قصر
المعونة المالية الحكومية على الحد الذي يضمن هذه المساواة، وفي نفس الوقت يتناسب مع
ميزانية الدولة، ويكون عماد نجاح هذا البرنامج متوقفاً على مدى استعداد الأهالي أنفسهم
وطموحتهم إلى الإقامة في منازل مستقلة أسباب الصحة والراحة، فلو أن الفلاح ليس لديه
هذا الاستعداد للتطور لكان من غير المجدي إسكانه منزلاً صحياً إذ سيتحول هذا المنزل بعد
إقامه قصيرة المدى إلى مأوى قذر تنافه النفس ولا يمتاز عن المسكن الرديء الحالي إلا فيما
يختص بظهوره الخارجي الذي إن دل على شيء فعلياً مقدار ما يستطيع بعض الفلاحين من
أتلاف وسوء عناية كنتيجة للجهل وعدم اعتماد السكنى في الأماكن النظيفة الصحية وانعدام
الرغبة في الاحتفاظ بها والمحافظة عليها، والذي يجب اتباعه هو أن تضع الحكومة برنامجاً
على الأساس الآتي :

أولاً - يجب أن تكون أول خطوة تخطوها الحكومة الامتناع عن بيع الأراضي التي
تملكها قرب القرى المختلفة ولا سيما ما كان من تلك الأراضي واقعاً في شمال تلك القرى،
وذلك نظراً لأن تلك الأمدادات المحتملة والمستقبلية للقرى الحالية يمكن أن تتم في تلك
الأراضي، فإذا كانت حركة المباني لمسكن الفلاحين الحديثة قد تكاثرت وأقبل عليها عدة
كبير من السكان في قرية ما من هذه القرى أمكن للحكومة أن تقسم أرضها بجوار تلك القرية
إلى مساحات صغيرة مناسبة تحترقها الشوارع والميادين الملائمة فتبيعها الحكومة للأهالي
بأسعار منخفضة ليشتروا عليها مساكنهم، وبذلك يمنع تحكّم أصحاب الأراضي في راغبي البناء
بتحديد أسعار عالية ثمناً لأراضيهم ويتعد عنصر المشاركة عن الموضوع، وهو ما قد يقف
حجرة كآداء في سبيل الخطوة الأولى لبناء مساكن الفلاحين .

والإحصاء التقريبي للأراضي اللازمة لامداد القرى الحالية في القطر المصري كله هو
حوالي ٢٠٠,٠٠٠ فدان (متى ألف فدان)، وذلك على اعتبار إقامة تسطيح سكان كل قرية
في منطقة الامتداد والثلث الباقي تستمر إقامته في القرية بعد تنظيمها وشق الشوارع فيها
ليتنخل مساكنها الحالية الضوء والهواء وبطبيعة الحال يكون هناك مجال كبير لتحسين حال

السكان المقيمين في القرية الأصلية ، إذ أن هجرة الكثيرين منهم الى منطقة الامتداد يتيح للباقيين فيها فرصة السكنى في البيوت التي خلت من سكانها والتي قد تكون أحسن حالا من بيوتهم ، وبذلك تم حركة التطور والانتقال التدريجي لكل سكان القرية سواء من انتقل منهم الى المنطقة الجديدة أو من بقي منهم في القرية القديمة ، فكأنهم يشعرون انه انتقل من حال إلى حال أحسن دون مفاجأة قد لا يكون الفلاح مستعدا لها أو راغبا فيها . ويترك للزمن ومضى السنين الوصول بما كرس جميع الفلاحين الى مستوى الجودة والنظافة الذي نرجوه لهم جميعا .

هذا ولما كانت الحكومة لا تملك في كثير من القرى مناطق تصلح للامتداد فمن الميسور لها - إما عن طريق المبادلة بأراض أخرى من أملاكها أو بالشراء ان استلزم الأمر - الحصول على أراضى الامتداد المطلوبة وهي لن تنحصر في ذلك شيئا ما دامت الأرض ستباع بعد ذلك لراغبي إنشاء المساكن الحديثة من أهل القرية المجاورة ، على أن حركة تملك الحكومة هذه لا بد أن تمتشى شيئا فشيئا مع الزمن بما يلائم الظروف ، أما امتناع الحكومة عن بيع أراضيها القريبة من القرى الحالية فيجب ان يتم فورا .

ثانيا - أما الخطوة الثانية التي ينبغي للحكومة أن تخطوها فهي التشجيع المالى لراغبي إنشاء المنازل الصحية الريفية على المضى في عملهم سواء كان الغرض من انشائهم لتلك المنازل هو مجرد الاستئجار بتأجيرها أو للإقامة فيها ، ويتخذ هذا التشجيع شكل قروض محدودة بضمان المنشآت نفسها على أن تقسط القروض على آجال طويلة وبفائدة صغيرة .

ولما كان من العمير أن تقوم الحكومة بنفسها بهذه العملية إذ هي من خصائص البنوك ، فمن الميسور للحكومة الانتفاع بقسم التعاون في وزارة المالية للوصول الى هذا الغرض مع إجابة رغبة هذا القسم في إنشاء بنك التعاون الذى طالبه ، وتكون عملية الاقراض خاضعة لاشراف بنك «قسم التعاون» ، والواقع أن هذا القسم هو أكبر الأقسام الحكومية اتصالا بالفلاح ، كما أنه يشرف اشرفا دقيقا مشعبا بروح الإرشاد الصادق المختص على أعمال الجمعيات التعاونية التى أنشئت في مختلف قرى ومدن القطر المصرى وهى آخذة في النمو التدريجى .

فإنشاء بنك التعاون وتسخير شطر من ماله (وليكن مبدئيا مليونين من الجنيهات) لاقراضه تشجيعا لأعمال مبانى المساكن الصحية في القرى أسوة بما تقرضه الحكومة الآن للجمعيات التعاونية باشراف قسم التعاون لشراء الأسمدة والبذور الصالحة وما الى ذلك محل

جزءا كبيرا من المشكل ، ولا سيما إذا تعدد تمديد الأقساط المستحقة من تلك القروض مع الأموال الأميرية التي يجيبها صرافو القرى .

ولا شك في أن تركيز عملية الأقرض لإنشاء المساكن في بنك التعاون سيكون مدعاة لحسن الإشراف على المقرضين وعلى مدى صلاحية كل منهم للأقرض ، إذ الواقع أن المقرض الذي يسعى إلى إنشاء مسكن حديث لا قامته أو لاستثماره يكون في المستوى الذي يجعله يقدر قيمة الجمعيات التعاونية والفائدة المرجوة منها ، فيكون من باب أولى عضدا فيها قبل أن يكون مفكرا في إنشاء المسكن الحديث .

أما من جهة رأس المال الذي سيخصص للأقرض على ذمة المبانى والذي يقترحه بمجموع بك ويقدره مبدئيا بليونى جنيه فيمكن تديره من الاحتياطى العام للدولة دون المساس بالميزانية العادية ، وبذلك يرتفع العبء الباطن الذى تستلزمه تلك المنشآت عن ميزانية الدولة ، ويكون الأهلون هم الذين يقومون بتكاليفه تعاونهم في ذلك الحكومة عن طريق تقديم القروض بأسهل الشروط في حدود الحاجة لتلك القروض ، وإذا زادت مع توالى الزمن الرغبة في الإنشاء فمن الممكن زيادة رأس المال المخصص للأقرض عن مليونى جنيه على ألا يكون لهذه الزيادة أى مساس خطير يؤثر على التصرف في احتياطى الخزانة العامة .

ولا شك في أن انتشار الرغبة بين الأهلين وتعميم الفكرة بينهم عن طريق معابنتهم للمنشآت الحديثة التي أقيمت في قراهم سيحفزهم لتحمل بعض التضحيات في سبيل إنشاء مساكن لهم أسوة بالآخرين ، فيدبرون المال اللازم لذلك حتى لو أفلعت الحكومة بمذر من ما عن الأقرض لهذا الغرض ، ولذا يحتمل ألا يزيد المال الذى تخصصه الحكومة للأقرض زيادة كبيرة عن المليونى جنيه الأولى .

ثالثا - تانى بعد ذلك الخطوة المهمة في إنشاء المساكن نعمها بعد تدير المال والأرض اللازمة للإنشاء ، ولا شك أنه يوجد لدى الحكومة الكثير من وسائل المعونه الفنية في هذا الباب ، فليها من جهة ادارة البلديات التابعة لوزارة الصحة وهى الجهة التى تتكفل بعمل التصميمات بإنشاء كل المبانى المختلفة اللازمة لمعظم بلديات القطر ومجهوداتها العظيمة في هذه الناحية جديرة بكل تقدير وشكر ، كما أنه تابع وزارة الأشغال ومصحة المبانى التى تقوم بعمل تصميم وإنشاء وصيانة جميع المبانى الحكومية في القطر كله ، وإن مالهاين المصلحتين الحكوميتين (إدارة البلديات ومصحة المبانى) من الخبرة الطويلة بأعمال الإنشاء في مختلف بلاد القطر المصرى يجعل منهما الدمامة القوية التى تسترشد بها الحكومة في وضع تصميمات منازل الفلاحين الحديثة ، على أن تستوفى جميع الشروط الصحية والاقتصادية معا ،

فتجعل تصميم منازل كل منطقة يتناسب مع ظروف السكن بها ، وتستعمل في إنشائها مواد البناء المتوفرة فيها والتي اعتاد البناؤون استعمالها في المباني المختلفة ، ولخبرة بكل ذلك أثر محمود في توفير أيدي الصناع لكل منطقة دون الحاجة الى ترحيل الصناع من منطقة الى أخرى لما لهم من خبرة خاصة في نوع معين من الإنشاءات ليس للصناع في المنطقة الأخرى أي دراية به . فاتباع هذه الخطة من الانتفاع بصناع كل منطقة في إنشاء مباني المنطقة نفسها يؤدي بطبيعته إلى تنشيط حركة البناء ومنع العطالة بين صناع كل ، منطقة كما يؤدي الى الاقتصاد في أجور نقل العيال ومواد البناء في منطقة إلى أخرى ، وفي شراء المواد الأولية اللازمة للبناء ، وما دامت كل هذه العناصر قد توفرت وروعت في التصميم الأول للمساكن ، فلا يبقى إلا مراقبة إنشاء المساكن نفسها في الطبيعة ، حتى تم المساكن على الوضع المرغوب فيه من حيث جودة الصنع ودقة مراعاة التصميم الأصلي .

ومن الميسور أن تعهد عملية مراقبة الإنشاءات إلى تفتيش المباني التابعة لمصلحة المباني والموجودة في الوجهين القبلي والبحري ، وبذلك يتسنى الانتفاع بمفتشي المباني وعمم من كبار موظفي الدولة ، وبمعرضهم من المهندسين والملاحظين في هذه الأعمال الحيوية ، كما أنه من الميسور أيضا تكليف مهندس أو البلديات المختلفة الاشراف على المباني الواقعة في القرى القريبة منهم ، ويمكن باتحاد المصلحتين (المباني والبلديات) مع زيادة بسيطة جدا في عدد الملاحظين) بل قد لا يستدعي الأمر تلك الزيادة إذا انعقدت النية على الانتفاع بمجزم بكل الموظفين القليلي العمل في بعض المتاح الحكومية) تنظيم الاشراف والمراقبة على حركة بناء مساكن الفلاحين دون أن تتكبد خزائنة الدولة نفقات تذكر مقابل ما قد يضطر إليه الأمر من إيجاد بعض الملاحظين ، ومن مصاريف انتقال مختلف الموظفين إلى مكان العمل ، وبذلك تسدى الحكومة للفلاحين خدمات جليلة ليس في مكنتهم الحصول عليها إلا بنفقات تنقل كاهلهم لو أن الحكومة لم تتولها .

رابعا - ولما كانت المنازل الحديثة تحتاج الى مولاتها بالنظافة من جهة ومن المفروض أن سكانها يتوخون النظافة في كل شئ من جهة أخرى ، فإن أول ما يتطلعون إليه هو توفير المياه النظيفة الصالحة سواء لشربهم أو للاستعمال المنزلي .

وقد تضاربت الآراء في كيفية توفير المياه النقية للقرى ، على أن الفكرة التي أخذت بها بعض الجهات الحكومية كانت تقضى بإنشاء محطات رئيسية تستمد المياه من النيل وفروعه ثم تقوم برشحيها وتطهيرها وتوزيعها على المنطقة التي تقوم كل محطة من تلك المحطات للرئيسية منها بواسطة أنابيب تعد لهذا الغرض وتتشعب في نواحي المنطقة المختلفة والتي قد تشمل مديرية بمخايفرها ، وقد تغذى كل محطة مليونان من الأنفس مثلا ، وقد نظرت

مصلحة الصحة في إنشاء محطة رئيسية بهذا الوصف لأمداد جميع قرى مديرية الفيوم بياه
المشرب الصالحة .

ويبلغ تعداد الأنفس الذين ينتفعون من ذلك نيفا ونصف مليون من السكان وقد
لوحظ أن الشطرا الأكبر للنفقات اللازمة للمشروع بائجه يستغرقه مد الأنابيب الموصلة من
المحطة الى القرى المختلفة .

على أن تسمح إنشاء تلك المحطات في التطار كله يستلزم إفتاق نحو عشرين مليوناً من
الجنيهاً ، أعياها يصرف على مد الأنابيب ، كما أن المنصرف سنويا على تلك المحطات
والأنابيب قد يربو سنويا على المليين من الجنيهاً ، ولذا كان نجاح المشروع بشكله هذا
متوقفا لدرجة كبيرة على مدى ما تستطيع ميزانية الدولة العامة احتماله من تلك النفقات ،
ولو أن تقاضى ثمن المياه من المشغين بها ، إن كانوا في حالة رخاء تسمح بذلك ، يخفف
كثيراً من عبء المصاريف السنوية ، ولكنه لا يخفف من رأس المال اللازم للمشروع
بأكله بما قد يكون عميقة كبيرة في سبيل تنفيذهِ وداعياً لارجائه الى عشرات السنين أو الى
أجل غير مسمى ، وتظل المنازل الحديدية التي أنشئت في القرى ينقصها العامل الأساسي
اللازم لنظافة ومجدة سكانها ، أى الماء الصالح للشرب .

ويلاحظ أن حل هذا الموضوع يستدعى السير في طريق آخري يمكن به الوصول الى
نفس النتيجة بخطوات متعددة ثابتة بحيث لا تكون فكرة توفير مياه الشرب للقرى عرضة لتوالى
الاختفاء والظهور حسب إمتعضيات الظروف المالية دون أن تأخذ طريق التنفيذ .

فالواقع أن هناك بلاداً كثيرة من بلاد القطر تستورد مياه الشرب من عملياتها الخاصة ،
كما أن من بعض مناطق القطر جهات لو عملت بها آبار توازية لأخرجات مياهها صالحة
للمشرب دون حاجة الى ترشيح أو تعقيم . وهناك غير هذا وذلك بلاد تمر بها ترع يمكن أن
تستمد منها المياه العكرة طول السنة ما عدا مدة الجفاف الشتوى وحى أربعون يوماً
في السنة فقط !!

فالانتفاع بكل هذه الظروف مجتمعة يدعو فوق الاقتصاد في النفقات الى إمكان توريد
المياه الصالحة للمشرب الى بعض المناطق في وقت قصير وبدون كلفة كبيرة بحيث يمكن
لميزانية الدولة أن تتسع له دون كبير عناء .

فمثلاً في القرى القريبة من المسدن التي لها عمليات مياه خاصة وتمتد في أنحائها شبكة
الأنابيب لتوزيع المياه في مختلف أحيائها يمكن أن تنشأ فروع صغيرة من أطراف هذه الشبكة
توصل المياه الى القرى القريبة بنفقات زهيدة ، إذ لن يحتمل على هذا المشروع مصاريف

إنشاء العملية الأصلية الخاصة بالترشيح وآلات الضغط والتعقيم والشبكة الممتدة في أحياء المدينة ومصاريف الموظفين والمستخدمين اللازمين ، إذ أن كل ذلك موجود فعلا ، ولن يستلزم الأمر إلا إنشاء بعض أنابيب فرعية لتغذية تلك القرى ، وذلك حين سواء من جهة رأس المال أو الوقت اللازم للإنشاء .

كما أنه في بعض المناطق التي تصلح المياه الارتوازية فيها للشرب يمكن دق الآبار الارتوازية اللازمة وتغذية بضع قرى مجاورة من محطة صغيرة قليلة النفقة ، ولكن يحتاج الأمر إلى مرشحات وغيره نظرا لنقاء المياه الارتوازية وتكون تكاليف الإنشاء في هذه الحالة متراوحه بين ثلث ونصف النفقات اللازمة فيما لو أنشئ مشروع خاص بترشيح المياه العكرة المستعدة من النيل أو أحد فروعه ؛ فبتكاليف محدودة يمكن فوراً مد شطر من التمرى بالمياه الصالحة للشرب دون انتظار إنجاز المشاريع الكبيرة التي تتوقف على حالة الميزانية .

ومن جهة أخرى فإنه يمكن مد بعض القرى والمدن التي لاتصلح بها الآبار الارتوازية بمياه الشرب المأخوذة من الترغ المجاورة لتلك المدن أو مجموعة القرى ، وبترشيحها أو تعقيمها تصبح صالحة للشرب وذلك بدلا من القيد بوجود أخذ المياه من النيل مباشرة أو أحد فروعه الرئيسية مما

يتكلف كثيرا جدا في مد الأنابيب المختلفة الأحجام سواء لتخصيصها للمياه العكرة أو المرشحة ، وإذا قيل إن الترغ تجف في بعض فصول السنة لأعمال التطهير في موسم الجفاف الشتوى وهو أربعون يوما ، فمن الميسور إما دق آبار إرتوازية في تلك المناطق لتستمد منها المياه في فترة الأربعين يوما هذه (وذلك على فرض أن ملوحة المياه قد تكون زائدة بعض الشيء مما يجعلها لاتضر بالصحة ، ولو أنها ليست سائنة تماما لمن يشربها) وكلفة هذه الآبار صغيرة جدا ، وإما يسمح بمرور كمية من المياه في هذه الترغ تكفى للشرب في مدة الجفاف الشتوى ولو عن طريق المناوبات على ترعتين بحيث يمكن أخذ المياه من إحدهما حين إجراء التطهير في الأخرى . ولن يضير هذا الترتيب أعمال الري في شئ لو أنه درس بعناية ، كما أنه لايمس كل ترغ القطر بل بعضها الذى سيخصص للشرب ، وإذا قيل إن كمية المياه التي ستؤخذ تؤثر على الإيراد المائى للنيل في فصل الصيف ، فإني أقول لك إنه مع التسليم بأن المياه المخصصة للاصلاح التي ستؤخذ من الإيراد النبلى تصل إلى نحو مليار من الأمتار المكعبة في الوقت الحاضر ، فإن ما يلزم لشرب القطر كله في مدة ٤٤ يوما باعتبار أخذه من النيل لا يصل إلا إلى خمسة في المائة من هذا المقدار ، وهو قدر ضئيل لا يدعو إلى القول بأنه يؤثر على الإيراد النبلى تأثيرا يذكر ، كما أنه لا يطلب أن يملا الترغ التي يمر فيها إلى مناسب الفيضان بل يكفى أن يمر في الترغ بعمق بسيط مادامت الطامبات ترفعة من الترغ لترشيد ثم تعقيمه فيما بعد .

فإذا نظرنا إلى ما يمكن عمله بدرس ظروف كل منطقة من مناطق القطر على الأسس التي أصلفت لك ذكرها ، أمكن صرف حوالى خمسين ألف من الجنيحات كل عام باستمرار للوصول بخطوات وثيدة نابتة إلى تعميم مياه الشرب فى القرى دون إرهاب الميزانية العامة بملايين الجنيحات دفعة واحدة لهذا الغرض .

خامسا - يأتى بعد مياه الشرب خطوة كإلية تجعل المنازل القروية الحديثة فى صف منازل الدرجة الأولى وهذه الخطوة هى توصيل الإنارة الكهربائية ، إن لم يكن لتلك المنازل فعلى الأقل لإنارة شوارع القرى ، وهذا أمر ميسور عندما يتم تنفيذ مشروع الشبكة الكهربائية الموحدة للقطر كله على أنه يتمنى فى الوقت الحاضر إمداد بعض القرى القريبة من المدن التى بها عمليات لتوليد الكهرباء بالتيار الكهربائى اللازم ، كما أن ما سبق أن أنشأته وزارة الأشغال من الشبكات الكهربائية سواء فى الوجه البحرى أو القبلى لأعمال الرى والصرف يمكن استعماله أيضا لهذا الغرض .

دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الاعراب ، فارتاع من هيئته ، فقال طيه الصلاة والسلام : خفض عاىك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة .

ووفد وفد للنجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : تكفيك ، فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم .

وقال جرير بن عبدالله البجلي : « ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ، ولا رأني إلا ابتسم » .

مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية

بمناسبة ما تأخذ به وزارة الشؤون الاجتماعية في هذه الآونة من الاضطلاع بتنفيذ مشروع مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية بنشر القانون ، الخصاص بذلك فيما يلي ، وهو بعد الديباجة :

١ - تطبق أحكام هذا القانون على كل متسرى من الذكور تزيد سنه على اثني عشرة سنة ولا تتجاوز الخامسة والأربعين ولم يكن ملما بالقراءة والكتابة .

ويجوز بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية تطبيق أحكامه على الإناث من المصريات اللاتي تزيد سنهن على الثانية عشرة ولا تتجاوز الخامسة عشرة على شرط أن تعلم الفتيات على جيدة وأن يقوم بتعليمهن إناث فقط .

٢ - يفرض على الأميين الذين يخضعون لأحكام هذا القانون تعلم القراءة والكتابة والمبادئ العامة للدين ومبادئ علم الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والتقود المستعملة في المملكة المصرية مع قسط مناسب من الثقافة العامة .

وتبين مناهج الدراسة بقرار من وزير الشؤون الاجتماعية .

ويزكون هذا التعليم بالجمان .

٣ - يعنى من الإلزام المبين في المادة السابقة كل شخص مصاب بمرض أو بجماعة عقلية أو عقلية تمنعه عن تلقى الدراسة ، ويحول الاعفاء بزوال المرض أو العاهة .

٤ - تكون مدة الدراسة تسعة أشهر متصلة لا تنقطعها سوى العطلات الرسمية وما تقتضيه المواسم الزراعية .

وتكون الدراسة لمدة خمسة أيام على الأكثر في الأسبوع لا تدخل فيها أيام الجمع ، وتكون لمدة ساعتين في اليوم .

٥ - ويراعى في تحديد أوقاتها ظروف الأشخاص الذين يتلقون الدراسة من حيث مواعيد أعمالهم وتوفير راحتهم .

٦ - "الوزارة في سبيل استصدار مشروع مرسوم مشروع قانون بتعديل نص هذه المادة"

٥ — تعيين بقرارات من وزير الشؤون الاجتماعية الجهات التي أعدت فيها وحدات لمكافحة الأمية وتشقيف الشعب والتي يسرى عليها حكم الإلزام المشار إليه في المادة الثانية .
ويبدأ الإلزام بعد ثلاثين يوماً من تاريخ نشر كل قرار .

٦ يجب على مأموري المراكز والأقسام والعمد أن يقيّدوا في سجل خاص أسماء الأُميين في دائرة اختصاصهم وذلك في خلال ثلاثين يوماً من تاريخ العمل بهذا القانون مع بيان سنهم وصناعتهم ومحل إقامتهم .

كما يجب عليهم أن يقيّدوا في السجل المذكور وفي الموعد المتقدم ذكره ما يوجد في دوائر اختصاصهم من معاهد للتعليم عامة أو خاصة أو أمكنة صالحة للدراسة .

٧ — يجب على المعلمين في جميع المدارس الأولية والابتدائية والفنية والثانوية الحكومية والحية أن يقوموا بمهمة تعليم الأُميين كلما طلب منهم ذلك وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية ، فإذا لم يوجد منهم العدد الكافي جاز لوزير الشؤون الاجتماعية تكليف غيرهم من المتعلمين سواء أ كانوا من الموظفين أو من غيرهم بالتدريس مع مراعاة ظروفهم وأوقات فراغهم .

٨ — تهباً في كل وحدة الأماكن الكافية والملائمة لتعليم الأُميين وتزود بجاباتها من أدوات الدراسة وكتبها ، ويستعان بالأدوات المستديمة بمعاهد التعليم والكتب الدراسية التي تستعمل في التعليم الأولى وكذلك الزائدة عن حاجة وزارة المعارف العمومية الى أن توضع الكتب الملائمة لأغراض هذا التعليم .

وتؤدي الدراسة بمعاهد التعليم على اختلاف أنواعها حكومية وحرّة عدا معاهد التعليم العالي ، فإذا لم تتسع تلك المعاهد لأغراض الدراسة جاز أن تؤدي في الأمكنة الآتية :

(١) دور العبادة .

(٢) دور الحكومة العامة .

(٣) قاعات الاجتماعات والمحاضرات .

(٤) الأماكن التي يقدمها أصحابها وتكون صالحة لهذا الغرض .

فإذا تمذّر وجور أمكنة صالحة للتدريس جاز أن يكون التعليم في الهواء الطلق مع مراعاة فصول السنة وأسباب الوقاية الوقية من تقلبات الجو .

ويجب على أصحاب ومستغلي قاعات الاجتماعات والمحاضرات التي يصدر قرار من وزير الشؤون الاجتماعية بتخصيصها لأغراض مكافحة الأمية أن يضعوها تحت تصرف وزارة الشؤون الاجتماعية لهذا الغرض وفي الأوقات التي تكون فيها خالية وبدون أجر .

٩ - يمنح المكلفون بالتعليم مكافآت مالية تحدد قيمتها وشروط منحها بقرار من مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية ويجوز أن تمنح جوائز للعالمين الذين يمتازون في عملهم امتيازاً يكون له أثره في نتيجة الامتحان .

١٠ - يجب على أصحاب الأعمال التجارية والصناعية الذين يستخدمون عادة ثلاثين حاملاً فأكثر أن يهبوا على نفقتهم وحدات لمحو الأمية بين عمالهم وأن يتحققوا من قيام هذه الوحدات بمهمتها على الوجه المبين في هذا القانون ، وأن يتكفلوا بدفع المكافآت التي تصرف لمن يقومون بالتعليم فيها ، فإذا لم يقوموا بذلك كله قامت الوزارة بتعليم هؤلاء العمال على نفقتهم ، بشرط ألا تزيد النفقات التي يلزمون بأدائها على ٣٪ من مجموع الضرائب التي يدفعونها وألا تتجاوز مدتها أربع سنوات .

ويجوز لوزير الشؤون الاجتماعية بالنسبة لأصحاب الأطنان الذين يملكون ما لا يقل عن فدان فأكثر أن يخصص لكل منهم عدداً معيناً من العمال للقيام بتعليمهم أو التكفل بالنفقات المترتبة على ذلك ، بشرط ألا تزيد النفقات التي يلزمون بأدائها على ٣٪ من قيمة الضريبة التي يدفعونها وألا تتجاوز مدتها أربع سنوات .

ويجوز تحصيل النفقات المستحقة بالأحكام السابقة بطريق الجزاء الإداري طبقاً للأمر العالي الصادر في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ المعدل بالأمر العالي الصادر في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٥

١١ - يجب على مصلحة السجون أن تتولى تعليم المسجونين الذين تزيد مدة سجنهم على تسعة شهور وذلك بالتطبيق لأحكام هذا القانون .

١٢ - مصالح الحكومة التي تستخدم عمالاً ومستخدمين خارج الهيئة يزيد عددهم على خمسة عشر في بلد واحدة تقوم بتعليم عمالها ومستخدميها طبقاً لأحكام هذا القانون .

وتقوم وزارتا الدفاع الوطني والداخلية بتعليم الأميين من العساكر وضباط الصف التابعين لها طبقاً للمناهج المقررة والتي سنقرها وزارة الشؤون الاجتماعية .

١٣ - تعقد امتحانات عامة في نهاية المدة المخصصة للدراسة ويعطى للناجحين شهادة دالة على نجاحهم ومن يرسل باعادة الدراسة .

١٤ - يقوم المراقبون والمفتشون التابعون لوزارة المعارف العمومية وغيرهم من
بمساعدتهم وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية بالاشرفاء التنى على
وحدات مكافحة الأمية ، وعليهم أن يقدموا لوزير الشؤون الاجتماعية كل ثلاثة شهور تقارير
يبين فيها مدى نشاط التعليم وتقدمه وتوفر وسائله ، وعلى العموم نتيجة سير العمل من كافة
نواحيه ، كما يجب على المشرفين على فصول الدراسة في كل وحدة أن يقدموا على الوجه المتقدم
لمراقبي مناطق التعليم تقريرا كل شهر عن حالة الدراسة والمواظبة في الفصول التي يشرفون
عليها ، وعلى هؤلاء أن يضموا تقاريرهم للوزارة فحوى ما يرد في هذه التقارير مشفوعة برأيهم .
١٥ - تشكل في كل قسم أو مركز لجنة برئاسة مأمور المركز أو القسم وعضوية اثنين
من يقيمون بدائرتهم يختارهما وزير الشؤون الاجتماعية .

كما تشكل باصحة كل مديرية أو محافظة لجنة عليا برئاسة المدير أو المحافظ وعضوية
اثنين من أعضاء مجلس المديرية في المديرية ومن المقيمين في المحافظات على أن يضم إليها
مراقب المنطقة ومدير التعليم وذلك في المديرية ، والمدير العام للتعليم الأولى في محافظة
القاهرة ، وأحد نظارا لمدارس الثانوية في المحافظات الأخرى يختارهم وزير الشؤون الاجتماعية
بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية .

وتكون مهمة اللجنة الأولى معاونة وزارة الشؤون الاجتماعية وتحت اشرافها . المباشرة
في انشاء وحدات التعليم وتزويدها بما تحتاجها من الأدوات ومراقبة حسن سير الدراسة
والمواظبة فيها .

وتكون مهمة اللجنة الثانية تحقيق الاشراف العام في المديرية أو المحافظة على سير العمل
في الوحدات التابعة لها .

وعلى لجنة المركز أو القسم أن ترسل تقريرا للجنة العليا كل شهر متضمنا ملاحظاتها عن
سير العمل واقتراحاتها ، وعلى اللجنة العليا أن ترفع لوزير الشؤون الاجتماعية كل ثلاثة أشهر
تقريراً كذلك نتيجة اشرافها وما تقترحه لضمان نظام العمل في الوحدات وقيام المكلفين
بالتعليم فيها أو الاشراف عليها بواجباتها .

١٦ - يقوم بالتفتيش الصحي على الوحدات أطباء وزارتي الصحة العمومية والمعارف
العمومية وعليهم أن يقدموا تقاريرهم عن الحالة الصحية على الوجه المتقدم .

١٧ - يعاقب بفرامة لا تقل عن مائة قرش ولا تزيد على ألف قرش وبالحبس مدة
لا تزيد على شهر أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من يمنع عن التعليم أو يتخلف عنه دون
عذر مقبول ، فإن كانت سنة تقل عن ١٤ سنة ميلادية عوقب على أمره وحده بالعقوبات
ذاتها متى ثبت تقصيره .

ويعاقب بعقوبة الغرامة السابقة كل شخص كلف بالتدريس أو الإشراف وقصر فيه أو انقطع عنه أو امتنع عن الوفاء بالالتزامات التي فرضها هذا القانون أو القرارات المنفذة له دون حذر مقبول .

كذلك يعاقب بعقوبة الغرامة السابقة أصحاب وممثلوا فاعات الاجتماعات والمحاضرات الذين يحولون بأية طريقة كانت دون الانتفاع بها في مكافحة الأمية .

١٨ - بعد مضي أربع سنوات من بدء تنفيذ مكافحة الأمية في جهة بالذات بالتطبيق لحكم المادة الخامسة وفي الحدود الميينة في المادتين الأولى والثالثة من هذا القانون لا يقبل الأشخاص الذين لا يحملون أجازة بتأدية الامتحان الخاص بمحو الأمية في خدمة الحكومة والمصالح التابعة لها ولا في المؤسسات والمصانع والمحال التجارية .

كما لا يجوز أن يمنحوا رخصة جديدة أو مجددة بمزاولة حرفة من الحرف التي تتطلب ترخيصا أو أن تقبل منهم عطاءات أو مقاولات لجهة من جهات الحكومة أو المجالس البلدية أو مجالس المديرية أو أية جهة ملتزمة بمرفق عام .

”الوزارة في سبيل احتصدار مشروع مرسوم بمشروع قانون بتعديل نص هذه المنادة“

١٩ - يتولى اثبات المخالفات لأحكام هذا القانون والقرارات المنفذة له الموظفون الذين يندبهم وزير الشؤون الاجتماعية لهذا الغرض ويكون لهم في هذا الشأن صفة رجال الضبطية القضائية .

٢٠ - ينفذ هذا القانون ابتداء من العام الدراسي التام ١٩٤٤/١٩٤٥ .

٢١ - على وزرائنا كل فيما يخصه تنفيذ هذا القانون ويعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

ولوزير الشؤون الاجتماعية اصدار القرارات اللازمة لتنفيذه .